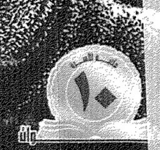
مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مهرجان القراءة للجميع
تنظيم الشباب للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

روائع الأعمال الشعرية

مكتبة الأسرة

حافظ إبراهيم



أبوللو

بورتريه للفنان محمد حجى

الأعمال الشعرية
حافظ إبراهيم
(أعمال مختارة)

الأعمال الشعرية

حافظ إبراهيم

(أعمال مختارة)

إعـــداد وتقـــديم

أحـــمـــد ســـويلم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الشعرية)

حافظ إبراهيم
(أعمال مختارة)

الغلاف والإشراف الفنى:
للفنان: محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبد الواحد

الإشراف الطباعى:
محمود عبد المجيد

المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ: هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطناً !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء **«مكتبة الأسرة»** وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعميه**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**» وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

هذا الشاعر

* يطلق عليه شاعر النيل.. ربما لأنه ولدفى ذهبية راسية فوق صفحة النيل فى قناطر ديروط بالصعيد فى عام ١٨٧١م.

* كان أبوه مصرياً صميماً وأمه من أسرة تركية الأصل.. ولم يعش أبوحافظ طويلاً بعد ولادته ولم يرزق ولدًا غيره.. وقد توفى أبوه وهو فى الرابعة من عمره فانتقلت والدته إلى القاهرة ونزلت عند أخيها فتولى أمره وتربيته.

* ثم انتقل مع خاله إلى طنطا ـ وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها ـ وهناك تعرف بالشيخ عبدالوهاب النجار.. وتأثر بآرائه.

* وكان خاله قد ضاق بالإنفاق على ابن أخته.. فكبر ذلك فى نفسه ونظمه بيتين يعبران عن هذا الإحساس العظيم بالألم:

ثقلت عليك مؤونتى
إنى أراها واهيه
فافرح فإنى ذاهب
متوجه فى داهيه

* والتحق بعمل لدى أحد المحامين فى طنطا.. لكنه لم يستمر كثيرًا فى هذا العمل المرهق.. فهداه تفكيره إلى الرحيل إلى القاهرة والالتحاق بالمدرسة الحربية.. وتخرج فيها بعد إتمام دراسته.. وتقلب فى عدة مناصب عسكرية من بينها عمله فى السودان.. حتى حدثت ثورة السودان عام ١٨٩٩م واتهم فيها ثمانية عشر ضابطاً كان بينهم حافظ فحوكموا وأحيلوا إلى الإستيداع.

وفى عام ١٩١١م عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب وكان مرتبه ثلاثون جنيهاً.. وصلت إلى ثمانين قبل إحالته إلى المعاش فى عام ١٩٣٢م.

وكان حافظ يعانى بؤساً شديداً طوال حياته.. ولم تقلل من ذلك صلته الوثيقة بأصدقائه الكبار الأثرياء وعلى رأسهم الشاعر الكبير «أحمد شوقى».

ولحافظ مواقف وطنية كثيرة منها موقفه من (حادثة دنشواى) كما أنه بايع شوقى بالإمارة فى حفل كبير أقيم لتكريمه فى الأوبرا فى ١٩ أبريل عام ١٩٢٧م وقد اشترك فيه عدد من شعراء الأقطار العربية.. وفيه أنشد حافظ قائلاً :

أمــيــر القــوافى قــد أتيت مــبــايعــاً
وهذى وفــود الشــرق قــد بايعت مــعى

فــــفــــن ربــوع النيل واعطف بنظرة
على ســاكنى النهــرين واصــدح وأبدع

ويرحل «حافظ إبراهيم» عن عالمنا فى عام ١٩٣٢م تاركاً لنا هذا العطاء الكبير من أعماله الشعرية التى عكف عليها ونشرها الأساتذة «أحمد أمين » و«أحمد الزين» و«إبراهيم الإبيارى».. فى جزئين كبيرين.

وهذه المختارات بعض منوع من عطاء الشاعر الكبير.. نقدمه اليوم من أجل إحياء ذاكرة الشعر الأصيل.

أجمل ماكتب

شاعر النيل

حافظ إبراهيم

١ـ سعىٌ بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت
[نشرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠]

سَعَيْتُ إلى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما ... وعُدْتُ وما أعْقَبْتُ إلاّ التَّنَدُّمَا(١)

لَحَى اللّهُ عَهْدَ القاسِطِينَ الّذى به ... تَهَدَّمَ مِنْ بُنْيانِنا ما تَهَدَّمَا(٢)

إذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعادَةَ بينهمْ ... فلا تَكُ مِصْرِيًا ولاتَكُ مُسلِما

سَلامٌ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ ... رَأَى فى ظَلامِ القَبْرِ أُنْسًا ومَغْنَما

أضَرَّتْ به الأولَى فهامَ بأخْتِها ... فإنْ ساءَت الأخْرَى فويْلاهُ مِنْهمَا(٣)

فهُبِّى رِياحَ الموتِ نُكْبًا وأطْفِئِى ... سِراجَ حَياتى قَبْلَ أنْ يَتَحَطَّما(٤)

فما عَصَمَتْنى مِنْ زمانى فَضائلى ... ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُرِّ أعْصَمَا(٥)

فياقلبُ لاتَجْزَعْ إذا عَضَّكَ الأسَى ... فإنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ لن تَتَألَّمَا(٦)

ويا عَيْنُ قد آنَ الجمُودُ لِمَدْمَعِى ... فلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِين ولا دَمَا(٧)

---

(١) يقول: إنه تقرحت قدماه من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه اشبه بالنعل لهما، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم. (٢) القاسطون: الجائرون المائلون عن الحق؛ ويريد بهم المحتلين وصنائعهم. (٣) يريد «بالأولى»: الدنيا و«بالأخرى»: الآخرة؛ فإن شقى فيها كما شقى فى دنياه فويلاه. (٤) النكب: جمع نكباء، وهى الريح إذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين، وهى ريح مهلكة للزرع والمواشى، حابسة للقطر. ويتحطم: يتكسر. (٥) عصمتنى: حفظتنى. (٦) يشير بقوله «بعد اليوم»: إلى الموت. (٧) جمود الدمع: انقطاعه او قلته. قدّر الشاعر فى هذا البيت أن ما تمناه من الموت قد وقع، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع.

ويا يَدُ ما كَلَّفْتُكِ البَسْطَ مَرَّةً ... لِذِى مِنَّةٍ أَوْلَى الجَمِيلَ وأَنْعَما

فللّه ما أحلاكِ فى أَنْمُلِ البِلَى ... وإنْ كنتِ أَحْلَى فى الطُّرُوسِ وأكْرَما(١)

ويا قَدَمِى ما سِرْت بى لَمَذَلَّةٍ ... ولَم تَرْتَقِى إلاّ إلى العِزِّ سُلَّمـا

فلا تُبْطِئى سَيْرًا إلى الموتِ واعلَمِى ... بأنّ كَرِيمَ القومِ مَن مات مُكْرَما

ويانفسُ كم جَشَّمْتُكِ الصبرَ والرضا ... وجَشَّمْتِنى أن أَلْبَسَ المجدَ مُعْلَما(٢)

فما اسطَعْتِ أنْ تَسْتَمْرِئى مُرَّ طَعْمِه ... وما اسطَعتُ بينَ القومِ أنْ أتَقَدَّما(٣)

فـهـذا فِراقٌ بيننا فتَجَمَّلِى ... فإنّ الرَّدَى أَحْلَى مَذاقاً ومَطْعَما(٤)

ويا صَدْرُ كم حلَّت بذاتِكَ ضِيقَةٌ ... وكَم جالَ فى أَنْحائكَ الهَمّ وارتَمَى

فهَلاّ تَرَى فى ضِيقةِ القَبْرِ فُسْحَةً ... تُنَفِّسُ عنكَ الكَرْبَ إنْ بِتَّ مُبْرَما؟(٥)

ويا قَبْرُ لا تَبْخَلْ بِرَدِّ تَحِيّةٍ ... على صاحبٍ أَوْفَى علينا وسَلَّما(٦)

وهيهات يأتى الحَىُّ للمَيْتِ زائرًا ... فإنِّى رأيتُ الوُدَّ فى الحَىِّ أَسْقَما

ويأيُّها النَّجمُ الّذى طال سُهْدُه ... وقد أَخَذتْ منه السُّرَى أين يَمَّما(٧)

لَعَلَّكَ لا تَنْسَى عُهودَ مُنادِمٍ ... تَعَلَّمَ منك السُّهْدَ والأَيْنَ كُلَّما(٨)

---

(١) فى انمل البلى، اى فى يد الفناء. والطروس: جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء)، وهو الصحيفة يكتب فيها. (٢) جشمتك: كلفتك. والمعلم من الثياب: الذى فيه أعلام من طراز أو غيره. شبه المجد به فى وضوحه وظهوره. (٣) استمرأ الطعام: استطابه واستساغه. ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين فى البيت السابق. ويقوله «وما استطعت بين القوم... الخ». إلى المجد، فى البيت السابق أيضاً. يقول لنفسه: إن كلينا لم يستطع القيام بما كلف به. (٤) تجملى: لاتظهرى الجزع. (٥) المبرم: المتضجر. (٦) او فى، اى أشرف علينا زائراً. (٧) السرى (بضم السين): السير ليلاً. ويمم: قصد. (٨) الأين: التعب الإعياء. وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى اخذ منه السهر والسرى كل ماخذ، ويطلب إليه ان ينكر عهود اليف له فى سهره وسيره. وقوله «كلما»، اى كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى.

٢ـ الإخفاق بعد الكد

وفيها ينعى مجد الترك والعرب، ويشير إلى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ ـ سنة ١٩٠٠ م]

ماذا أَصَبْتَ مِنَ الأسفارِ والنَّصَبِ ... وطَيِّكَ العُمْرَ بَيْنَ الوَخْدِ والخَبَبِ؟[١]

نَراكَ تَطْلُبُ لا هَوْنًا ولا كَثَبًا ... ولا نَرَى لكَ مِنْ مالٍ ولا نَشَبِ[٢]

لا تُطْعِمانِيَ أَنْيابَ المَلامِ عَلَى ... هذا العِثارِ فإنِّى مَهْبِطُ العَجَبِ[٣]

وَدِدْتُ لو طَرَحُوا بِى يومَ جِئْتُهُمُ ... فى مَسْبَحِ الحُوتِ أو فى مَسْرَحِ العَطَبِ[٤]

لعلَّ (مانِىَ) لاقَى ما أكابِدُه ... فوَدَّ تَعْجِيلَنا مِن عالَمِ الشَّجَبِ[٥]

إنِّى احتَسَبْتُ شَبابًا بِتُّ أُنْفِقُه ... وعَزْمَةً شابَتِ الدُّنيا ولَمْ تَشِبِ[٦]

---

(١) النصب (بالتحريك): التعب. والوخد: الإسراع فى المشى. والخبب (بالتحريك): أن ينقل الفرس أيا منه جميعاً إذا عدا. (٢) الهون: الهين. والكثب (بالتحريك): القرب. والهون والكثب: صفتان لموصوف محذوف، أى لاطلبأ هيناً ولاقريباً. والنشب: المال الأصيل. (٣) «لاتطعمانى.. الخ» أى لاتجعلانى طعمة. وقد شبه الملام، بالأسد ذى الأنياب؛ ونفسه بالفريسة. (٤) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته فى قاع البحر أو فى أى طريق من طرق الهلاك. (٥) مانى، هو مانى الثنوى صاحب مذهب المانوية المشهور. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه مانى من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر مانى فى أيام سابور بن أردشير، وقتل فى زمن بهرام بن سابور. والشجب: الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه. (٦) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمته فى أيام الحياة شيئاً، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخر له من أجر وثواب.

كم هِمْتُ فى البِيدِ والآرَامُ قائلَةٌ ... والشَّمسُ تَرْمِى أَدِيمَ الأَرْضِ باللَّهَبِ[١]

وكم لَبِسْتُ الدُّجَى والتُّرْبُ ناعسةٌ ... واللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَأْشِي لَدَى النُّوَبِ[٢]

والنَّجمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِى ويَحْسَبُنِى ... لَدَى السُّرَى ثامِنًا للسبْعَةِ الشُّهُبِ[٣]

لكنَّنى غيرُ مَجْدُودٍ وما فَتِئَتْ ... يَدُ المَقادِيرِ تُقْصِينِى عن الأَرَبِ[٤]

وقد غَدَوْتُ وآمالِى مُطَرَّحَةٌ ... وفى أُمُورِىَ ما للضَّبِّ فى الذَنَبِ[٥]

فإنْ تَكُنْ نِسْبَتِى للشَّرْقِ مانِعَتِى ... حَظًّا فوَاهًا لَمَجْدِ التُّرْكِ والعَرَبِ

وقاضِبات لهمْ كانت إذا اخْتُرِطَتْ ... تَذَنُّرَ الغَرْبُ فى ثَوْبٍ مِنَ الرَّهَبِ[٦]

وجَمْرَتٍ لهمُ فى الشَرْقِ ما هَمَدَتْ ... ولا عَلاها رَمادُ الخَتْلِ والكَذِبِ[٧]

مَتَى أَرَى (النِّيلَ) لا تَخْلُو مَوارِدُه ... لغيرِ مُرْتَهِبٍ لِلّه مُرْتَقِبِ

فقد غَدَتْ (مِصْرُ) فى حالٍ إذا ذُكِرَتْ ... جادَتْ جُفُونِى لها باللُّؤْلُؤ الرَّطِبِ[٨]

---

(١) هام: ذهب على وجهه حائراً لايدرى أين يتوجه. والآرام: الضباء؛ الواحد: رئم، وهو فى الأصل مخصوص بالظبى الخالص البياض. والقائلة: المستكنة وقت الظهيرة لشدّة الحرّ ؛ ويقال: إن الظباء لاتقيل إلا إذا اشتد القيظ. وأديم الأرض: وجهها وظاهرها. (٢) الترب (بضم فسكن): جمع ترياء، بمعنى التراب؛ وهذا الجمع مطرد فى (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة، أنها مستقرة فى مكانها لقلة من يثيرها من المارّة بالمشى عليها. والجأش: النفس. وقيل: القلب. يصف فى الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءاً من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر. (٣) الشهب السبعة، هى السيارة، وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. يقول: إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب، حتى كأنه واحد منها. (٤) المجدود: المحظوظ. (٥) مطرحة، ملقاة منبوذة. ويريد بقوله «وفى أمورى... الخ»: أن أموره معقدة متعذرة الحل، كأنها ذنب الضب الذى يضرب به المثل فى التعقيد. (٦) القاضبات: السيوف القواطع. واخترط السيف: استله من غمده. وتذنر: التف. والرهب (بالتحريك): الخوف والرعب. يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب. (٧) استعار «الجمرة» فى هذا البيت لقوّة الدولة وشوكتها وعزها. والختل: الخداع. يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولاخداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب. (٨) الرطب (بسكون الطاء) معروف، وتحريكها هنا لضرورة الوزن؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك فى شعر آخر فيما راجعنا

كـأنَّنِي عندَ ذِكْـرِى مـا أُلِّم بهـا قَـرْمٌ تَرَدَّدَ بين المَوْتِ والهَـرَبِ[1]

إذا نَطَقْتُ فَـقـاعُ السِّـجْنِ مُـتَّكأٌ وإنْ سكَتُّ فـإنَّ النَّفْسَ لَم تَطِبِ[2]

أَيَشْـتَكِي الفَقْـرَ غـادِينا ورائِحُنا ونحن نَمْشِى على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ

والقَوْمُ فى (مِصْرَ) كالإسْفَنْجِ قد ظَفِرَتْ بالماءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لمُـحْتَلِبِ[3]

(يا آلَ عُثمانَ) ما هذا الجفَاءُ لنا ونَحْنُ فى اللّهِ إخْوانٌ وفى الكُتُبِ[4]

تَرَكْـتُـمُـونا لأقْـوامٍ تُخـالِفُنا فى الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأدَبِ

---

(١) القرم: السيد العظيم والبطل الشجاع.. (٢) يقول: إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب، وإحجام يعقبه لذع الضمير. (٣) يريد «بالقوم»: الأجانب. يقول: إن هؤلاء الأجانب فى مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما فى الوعاء من ماء. والضرع للبهائم بمنزلة الثدى للمرأة، جمعه ضروع. (٤) آل عثمان: الترك. .

٣- حسرة على فائت

[نشرت فى يونيه سنة ١٩٠٢ م]

لَم يَبْقَ شَئٌ مِن الدُّنْيــا بأَيْدِينا ... إلاّ بَقِـيّــةُ دَمْعٍ فى مَـآقِــينَا[١]

كنّا قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فانفَرَطَتْ ... وفى يَمينِ العُــلا كُنّا رَياحِـينا

كانت مَنازِلُنا فى العِزِّ شامِخَةً ... لا تُشْرِق الشَّمْسُ إلاّ فى مَغانِينا[٢]

وكان أقْصَى مُنَى نَهْرِ (المَجَرَّة) لو ... مِن مـائِه مُزِجَتْ أقداحُ ساقِينا[٣]

والشُّهْب لو أنّها كانت مُسَخَّرَةً ... لِرَجْمِ من كانَ يَبْدُو مِن أعادِينا

فلَم نَزَلْ وصُرُوف الدَّهْرِ تَرْمُقُنا ... شَزْرًا وتَخْدَعُنَا الدّنيا وتُلْهِينا[٤]

حتّى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ ... ولا صَـديقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينا[٥]

---

(١) المآقى: جمع مؤق ومأق، وهو مجرى الدمع من العين. (٢) المغانى: جمع مغنى، وهو المنزل الذى غنى به أهله، أى أقاموا. (٣) المجرة: نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء؛ وتشبهها الشعراء بالنهر، كما فى هذا البيت. (٤) صروف الدهر: غيره ونوائبه. والنظر الشزر: أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولاتستقبله بوجهك معرضا عنه، أو غاضباً عليه. (٥) النشب: المال والعقار.

٤ ـ وداع الشـباب

قال هذه القصيدة فى دار وسط مزارع فى الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحركت فى نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

كم مَرَّ بِى فيك عَيْشٌ لَسْتُ أذْكُرُه ... ومَرَّ بِى فيك عَيْشٌ لَسْتُ أنْساهُ(١)

وَدَّعْتُ فيك بَقَايَا ما عَلِقْتُ به ... مِنَ الشّباب وما وَدَّعْتُ ذِكْراهُ

أهْفُو إليه على ما أقْرَحَتْ كَبِدِى ... مِنَ التَّباريح أولاهُ وأخْراهُ(٢)

لَبِسْتُه ودُمُوعُ العَيْنِ طَيِّعَةٌ ... والنفسُ جَيَّاشَةٌ والقَلْبُ أوَّاهُ(٣)

فكان عَوْنِى على وَجْدٍ أُكابِدُه ... ومُرِّ عَيْشٍ على العِلاّتِ ألْقاهُ

إنْ خانَ وُدِّى صَدِيقٌ كنتُ أصْحَبُه ... أو خانَ عَهْدِى حَبِيبٌ كنتُ أهْواهُ

قد أرْخَصَ الدَّمْعَ يَنْبُوعُ الغَنَاءِ به ... والَهْفَتِى ونُضُوبُ الشَّيْبِ أغْلاهُ(٤)

كم رَوَّحَ الدمعُ عَنْ قَلْبِى وكم غَسَلَتْ ... منه السَّوابِقُ حُزْنًا فى حَنَاياهُ(٥)

---

(١) يقول: إنه مرت به فى هذا البيت شؤون وأحوال نسى بعضها وذكر بعضها. (٢) أهفو، أى أميل. والتباريح: ما يعانيه المحب من شدّة الشوق. (٣) جياشة: مضطربة بمختلف العواطف. والأوّاه: الحزين. (٤) أرخصه: جعله رخيصاً. والضمير فى «به» يعود على الشباب. ونضوب الشيب، أى ذبول العود وجفافه فى المشيب. يقول فى الشطر الأول: إن غزارة الدمع فى عهد الشباب قد جعلته رخيصاً يفيض لأقل الأشياء؛ ويتلهف فى الشطر الثانى على قلة هذا الدمع فى عهد المشيب حَتىّ غلا وعز، فلا يجيبه إذا دعاه. (٥) روح الدمع عن قلبى، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته. وسوابق الدموع: ما أسرع منها.

لَم أدْرِ مـا يَدُه حـتَّى تَرَشَّـفَـه فَمُ المَشيبِ على رَغْمِي فـأفْناهُ[1]

قالوا تَحررْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ حُـرًا فَفِـي الأسْرِ ذُلٌّ كُنتَ تَأباهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه دامَـتْ صَرامَتُه مـا كان أرْفَـقه عندي وأحْناهُ[2]

بُدلْتُ منه بقَـيْـدٍ لَسْتُ أفْلَتُـه وكيف أفْلَتُ قَيْدًا صـاغَهُ اللّهُ[3]

أَسْرَى الصَّبابَةِ أَحْياءٌ وإنْ جَهِدُوا أَما المَشِيبُ ففِي الأمْواتِ أسْراهُ

---

(١) يده، أى نعمة الدمع عندي؛ ويقال: ترشفه، أى شربه قليلاً قليلاً.. (٢) ياليته، اى ياليت هذا القيد السابق ذكره. وصرامته: شدّته وإحكامه وتعذر الإفلات منه. (٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد فى عبارة بعض اللغو بين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر. قال أبو العباس ثعلب: يقال «بدلت الخاتم بالحلقة»: إذا أذبته وسوّيته حلقة؛ وبدلت الحلقة بالخاتم: إذا أذبتها وجعلتها خاتماً. والمراد بالقيد هنا قيد المشيب.

٥ ـ من السودان

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوق إلى مصر:

رَمَيْتُ بها على هذا التَّباب ... وما أَوْرَدْتُها غيرَ السَّراب[١]

وما حَمَّلْتُها إلاّ شَقاءً ... تُقاضِيني به يومَ الحِساب[٢]

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسِي وقَبْلِي ... عليكِ جَنَى أبِي فدَعِي عِتابِي[٣]

فلَولا أنَّهمْ وأَدُوا بَيانِي ... بَلَغْتُ بكِ المُنى وشَفَيْتُ ما بِي[٤]

سَعَيْتُ وكم سَعَى قَبْلِي أديبٌ ... فآبَ بخَيْبَةٍ بَعْدَ اغتراب

وما أعْذَرْتُ حتَّى كان نَعْلِي ... دَمًا ووِسادَتي وَجْهَ التُّرَاب[٥]

وحتَّى صَيَّرَتْني الشمسُ عَبْدًا ... صَبِيغًا بَعْدَ ما دَبَغَتْ إهابِي[٦]

وحتَّى قَلَّمَ الإمْلاقُ ظُفْرِي ... وحتَّى حَطَّمَ المِقْدارُ نابِي[٧]

---

(١) بها، اى بالنفس والتباب: الخسران والنقص. والسراب: هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء عن بعد؛ ويشبه به الخداع. (٢) تقاضيني: تحاسبني عليه. (٣) جناية أبيه عليه أنه كان سبباً في ولادته، إشارة إلى قول المعرّي:

*

هذا جناه ابى على ... وما جنيت على احد

(٤) وأده: دفنه حيًا . (٥) ما اعذرت: ما قصرت. ويريد «بكون نعله دماً»: كثرة السعي إلى ان تقرّحت قدماه فصار الدم لهما كالنعل.. (٦) الصبيغ: المصبوغ. وإهاب الإنسان: جلده. (٧) قلمه: قطعه. والإملاق: الفقر المدقع. ويريد «بالظفر والناب» في هذا البيت: أسباب قوته.

مَتَى أنا بالِغٌ يا (مِصْرُ) أرْضًا   أشَمُّ بتُربِها ريحَ المَلابِ[1]

رأيتُ ابنَ البُخارِ على رُباها   يَمُرُّ كأنَّه شَرْخُ الشَّبابِ[2]

كأنَّ بجَوْفِه أحشاءَ صَبٍّ   يُؤَجِّجُ نارَها شَوقُ الإيابِ

إذا ما لاحَ سائلَنا الدَّياجِي   أبَرْقُ الأرْضِ أمْ بَرْقُ السَّحَابِ[3]

---

(١) الملاب: لفظ فارسي، وهو كل عطر سائل. (٢) ابن البخار: القطار. والربا: ما ارتفع من الأرض. وشرخ الشباب: أوله وريعانه، شبه به القطار في السرعة. . (٣) الدياجي: الظلمات، جمع داجية.

٦ ـ شكوى الحياة

مـا لـهـذَا النَّجْم فى السَّـحَـرِ	قـد سَـهـا مِنْ شِـدَّةِ السَّـهَـرِ؟
خِلْـتُـــه يا قَـوْمُ يُؤْنسـنِى	إنْ جَـفـانى مُـؤْنِسُ السَّـحَـرِ(١)
يا لِـقَــــوْمِـى إنّـنـى رَجُلٌ	أَفْنَت الأيّـامُ مُـــصْطَبَــرِى
أَسْــهَـرَتْنِى الحــادِثاتُ وقـد	نامَ حــتّـى هاتِفُ الشَّـــجَـرِ(٢)
والدُّجَـى يَخْطُو على مَــــهَلٍ	خَطْوَ ذى عِــزٍّ وذى خَــفَــرِ(٣)
فِـيـه شَـخْـصُ اليَـأسِ عـانَقَنِى	كَـحَـبِـيبٍ آبَ مِن سَـفَـرِ
وأَثـارَتْ بى فَــــوادِحُــــه	كـــامِـنـاتِ الـهَمِّ والـكَـدَرِ(٤)
وكَــــأنَّ الَّـلـيْلَ أَقْــسَـمَ لا	يَنْقَـضِى أو يَنْقَـضِى عُـمُـرِى
أيُّهــــا الزِّنْجِىُّ مــا لَكَ لَمْ	تَخْشَ فـينا خـالِقَ البَـشَـرِ؟(٥)
لِى حَـبِـيبٌ هاجِـرٌ ولَهُ	صُــورَةٌ مِن أَبْدعِ الصُّـــوَرِ
أَتَلاشَى فى مَـحَـبَّـتِـه	كـتَـلاشِى الظِّلِّ فى القَـمَـرِ

(١) مؤنس السحر: حبيبه أو نديمه . (٢) هاتف الشجر: الطائر المغرِّد. (٣) الخفر: شدّة الحياء. وقد كنى «بتمهل الدجى فى خطوه» عن طول الليل.. (٤) الفوادح : ما يثقل حمله من النوائب .
(٥) يريد «الزنجى»: الليل، لسواده .

٧ـ شكوى الظلم

لَقَدْ كانَتِ الأَمْثَالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا ... بجَوْرِ (سَدُومٍ) وهوَ مِنْ أَظلَمِ البَشَرْ[١]

فلمَّا بَدَتْ فى الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ ... إذا (بسَدُومٍ) فى حُكومَتِهِ (عُمَرْ)[٢]

(١) سدوم (بالدال المهملة؛ وقيل بالذال المعجمة): إحدى مدائن قوم لوط الخمس التى دمرها الله لجور أهلها وكفرهم، وكان لها قاض يضرب به المثل فى الظلم، يقال له: (سدوم) أيضاً، فقيل: «أظلم من قاضى سدوم». (٢) الحكومة: الحكم. وعمر، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ ضرب به المثل فى العدل. ويريد الشاعر بهذا البيت: أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلاً إذا قيس بظلم حكام هذا العصر.

٨ـ فى المرض

مَـرِضْنا فـمـا عـادَنا عـائدُ   ولا قِيلَ: أَيْنَ الفَتَى الألْمعَى؟[١]

ولا خَـنَّ طِرْس إلى كـاتِبٍ   ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِـسْـمَعٍ[٢]

سَكَتْنَا فَـعـزَّ علينا السُّكوت   وهـانَ الـكـلامُ عـلـى المُـدَّعِـى

فـيـا دَوْلَةُ آذَنَتْ بـالـزوال   رَجَعْنَا لعَهْدِ الهَوَى فارْجِعى[٣]

ولا تَحسِبِينا سَلَوْنا النَّسِيب   وبين الضُّلُوعِ فـؤادٌ يَعِى[٤]

---

(١) الألمعى: الذكى المتوقد ذكاء. (٢) الطرس: الصحيفة يكتب فيها. والمسمع (بكسر الميم الأولى): الأذن. (وبفتحها): السمع. (٣) يريد دولة الأدب (٤) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر. ويعى: يحفظ

٩ ـ سجن الفضائل

نَعِمْنَ بَنفسي وأَشْقَيْنَنِي   فيا لَيْتَهُنَّ ويالَيْتَنِي[١]

خِلالٌ نَزَلْنَ بِخِصْبِ النُّفُوس   فَرَوَّيْنَهُنَّ وأَظْمَأْنَنِي

تَعَوَّدْنَ مِنِّي إباءَ الكَرِيم   وصَبْرَ الحَلِيمِ وتِيهِ الغَنِي

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطوب   فما يَنْثَنِينَ وما أَنْثَنِي

إذا ما الَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّباب   أَهَبْنَ بِعَزْمِي فَنَبَّهْنَنِي[٢]

فمازِلْتُ أَمْرَحُ في قِدِّهِنَّ   ويَمْرَحْنَ مِنِّي بِروضٍ جَنِي[٣]

إلى أَنْ تَوَلَّى زَمانُ الشَّباب   وأَوْشَكَ عُودِيَ أَنْ يَنْحَنِي

فيا نَفْسُ إنْ كنتِ لا تُوقِنِين   بمَعْقُودِ أَمْرِكِ فاسْتَيْقِنِي[٤]

فهذِي الفَضِيلةُ سِجْنُ النُّفوس   وأنتِ الجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِي

فلا تَسْأَلِيني مَتَى تَنْقَضِي   لَيالِي الإسارِ؟ ولا تَحْزَنِي

---

(١) نعمن، اى الخلال المذكورة فى البيت الآتى. فياليتهن وياليتنى، أى ياليتهن مانعمن وياليتنى ما اشقيت. (٢) أهاب به: دعاه. (٣) القدّ (بالكسر): السير يقدّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال. وروض جنى (بتشديد الياء وخففت للشعر)، أى أدرك ثمره وصلح للجنى. يقول: إننى فى ضيق من هذه الخلال الحميدة، وهن فى سعة من نفسى. (٤) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك ومالابد لك منه، وهو الموت.

١٠- غلاء الأسعار

أيُّهَا المُصْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا العَيْـ ـشُ ولَم تُحْسِنُوا علَيْه القِيامَا

عَـزَّت السِّلْعَـةُ الذَّلِيلَة حَـتَّى باتَ مَسْحُ الحِذاءِ خَطْبًا جُسامَا(١)

وغَدَا القُوتُ فِي يَدِ النَّاس كاليا قُوتِ حتَّى نَوَى الفَقِيرُ الصِّياما

يَقْطَع اليَـــومَ طاوِيًا ولَدَيْه دُونَ رِيحِ القُتارِ رِيحُ الخُزَامِى(٢)

ويَخالُ الرَّغِيفَ فِي البُعْدِ بَدْرًا ويَظُنُّ اللُّحُومَ صَيْدًا حَرامَا

إن أصابَ الرَّغِيفَ مِنْ بَعْدِ كَدٍّ صاحَ: مَنْ لى بأنْ أُصِيبَ الإدامَا؟(٣)

أيَّها المُصْلِحُون أصْلَحْتُمُ الأرْ ضَ وبِتُّمْ عن النُّفُوسِ نِيامَا

أصْلِحوا أنفُسًا أضَرَّ بِها الفَقْـ ـرُ وأحْيَـا بِمَـوْتِها الآثامَا

ليس فِى طَوْقِها الرَّحِيلُ ولا الجِـ ـدُّ ولا أنْ تُواصِلَ الإقْدامَا

تُؤْثِرُ المَوْتَ فِى رُبَا النِّيلِ جُوعًا وتَرَى العارَ أنْ تَعافَ المُقامَا(٤)

ورِجَالُ الشَّـآمِ فِى كُـرَةِ الأرْ ضِ يُبارُونَ فِى المَسِيرِ الغَمَاما(٥)

---

(١) السلعة: المتاع المتجر فيه. والخطب الجسام: العظيم. (٢) طاويا: جائعاً. والقتار (بالضم): ريح الشواء. والخزامى: نوع من الرياحين، وزهوره من أطيب الأزهار نفحة. يقول: إن ريح ذاك الزهر أقل شأناً عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثانى دون الأول (٣) الإدام: ما يؤتَدم به. (٤) الربا: مرتفعات الأرض، الواحدة ربوة. وتعاف: تكره . (٥) باراه: جاراه وفعل مثل فعله.

رَكِبُوا البَحْرَ، جاوَزُوا القُطْبَ، فاتُوا   مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خاضُوا الظَّلاما

يَمْتَطُون الخُطُوبَ فى طَلَبِ العَيْـ   ـشِ ويَبْرُونَ للنِّضَالِ السِّهاما

وبَنُو مِصْرَ فى حِمَى النِّيلِ صَرْعَى   يَرْقُبونَ القَضاءَ عامًا فَعاما

أيُّها النِّيلُ كيف نُمْسِى عِطاشًا   فى بلادٍ رَوَّيْتَ فيها الأناما

يَرِدُ الواغِلُ الغَريبُ فيَرْوَى   وبَنُوكَ الكِرامُ تَشْكُو الأُواما(١)

إنَّ لِينَ الطِّباعِ أوْرَثَنا الذُّ   لَّ وأغْرَى بِنا الجُناةَ الطُّغاما(٢)

إن طِيبَ المُناخِ جَرَّ علينا   فى سَبِيلِ الحَياةِ ذاكَ الزِّحاما

أيُّها المُصْلِحُونَ رِفْقًا بقَوْمٍ   قَيَّدَ العَجْزُ شَيْخَهُمْ والغُلاما

وأغِيثُوا مِنَ الغَلاءِ نُفوسًا   قد تَمَنَّتْ مع الغَلاءِ الحِماما(٣)

أوْشَكَتْ تأكُلُ الهَبِيدَ مِنَ الفَقْـ   ـرِ وكادَتْ تَذُودُ عنه النَّعاما(٤)

فأعِيدُوا لَنا المُكُوسَ فإنَّا   قد رأيْنا المُكُوسَ أرْخَى زِماما(٥)

ضاقَ فى مِصْرَ قِسْمُنا فاعذِرُونا   إنْ حَسَدْنا على الجَلاءِ الشَّآما(٦)

قد شَقِينَا ـ ونَحْنُ كَرَّمَنا اللّـ   ـهُ ـ بعَصْرٍ يُكَرِّمُ الأنْعامَا

---

(١) الواغل: الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى. والأوام: شدّة العطش.
(٢) الطغام (بالفتح): أوغاد الناس وأراذلهم. (٣) الحمام (بكسر الحاء): الموت. (٤) الهبيد: حب الحنظل. وتذود. تدفع وتمنع. وخص النعام لأنها تأكل هذا الهبيد. (٥) المكوس. ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لتباع فى المدن، وكان يتغالى فى فرضها. والزمام: ما تزم به الدابة، أى تنقاد. ويريد بقوله: «أرخى زماما»: أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون (٦) القسم (بالكسر): النصيب من الرزق. ويريد «بالجلاء»: انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبًا للرزق.

١١ـ مصـــــر

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بفندق الكونتننتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعاً المفاوضة مع الانجليز ومستقيلاً من الوزارة. نشرت فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدّث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرونَ جَمِيعًا — كيف أَبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِى

وبُناةُ الأهْرامِ فى سالِفِ الدَّهْـ — ـرِ كَفَوْنِى الكَلاَمَ عند التَّحَدِّى

أنا تاجُ العَلاءِ فى مَفْرِقِ الشَّرْ — قِ ودُرَّاتُه فَرائدُ عِقْدِى[1]

أَىُّ شَىْءٍ فى الغَرْبِ قَد بَهَرَ النَّا — سَ جَمَالاً ولَمْ يكُنْ منه عِنْدِى؟

فتُرابِى تِبْرٌ ونَهْرِى فُراتٌ — وسَمائى مَصْقُولَةٌ كالفِرِنْدِ[2]

أينَمَا سِرْتَ جَدْوَلٌ عِند كَرْمٍ — عند زَهْرٍ مُدَنَّرٍ عند رَنْدِ[3]

ورِجالِى لو أَنْصَفُوهُمْ لَسادُوا — مِنْ كُهُولٍ مِلْءِ العيُونِ ومُرْدِ[4]

لو أَصابُوا لَهُمْ مَجالاً لأَبْدَوْا — مُعْجِزاتِ الذَّكاءِ فى كلِّ قَصْدِ

---

(١) العلاء (بالفتح والمدّ): الرفعة والشرف. والمفرق (كمقعد ومجلس): وسط الرأس. والفرائد: الجواهر التى لاتوائم لها لفناستها؛ الواحدة فريدة. ويريد «بدراته»: ممالك الشرق التى كان لمصر الزعامة عليها. (٢) الفرات: العذب. والفرند: السيف. (٣) مدنر، أى مختلف الألوان، أو مشرق متلألئ. والرند: شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له: الغار. (٤) ملء العيون، أى تعجبك مناظرهم. والمرد: جمع أمرد وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته.

إنهمْ كـالظُّبَـا أَلَحَّ عليـهـا   صَـدَأ الدَّهْرِ مِنْ ثَواء وغِمْـدِ[1]
فـإذا صَـيْقَلُ القَضـاءِ جَـلاها   كُنَّ كـالمَوْتِ مـالَه مِنْ مَـرَدٍّ[2]
أنـا إنْ قَـدَّر الإلهُ مَـمـاتى   لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرأسَ بَعْدِى
مـا رَمـانِى رامٍ وراحَ سَلـيمًا   مِنْ قَـديمٍ عنايَـةُ اللَّهِ جُنْدِى
كم بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَىَّ وجـارَتْ   ثُمَّ زالَتْ وتِلْكَ عُـقْبَى التَّعَـدِّى
إنَّنى حُـرَّةٌ كَـسـرَتْ قُيُـودِى   رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِدِّى[3]
وتَمـاثَلْتُ للشِّـفـاءِ وقـد دَا   نَيْتُ حَيْنِى وهَيَّأَ القَوْمُ لَحْدِى[4]
قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَـفَاخِرَ قَوْمِى   مِـثْلَ مـا أَنْكَرُوا مَـآثِرَ وُلْدِى
هَلْ وَقَفْـتُمْ بِقِمَّـةِ الهَرَمِ الأكْـ   ـبَرِ يوماً فَرِيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِى؟[5]
هَلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُـوشَ اللَّواتِى   أعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَهِ المُتَحَدِّى؟[6]
حالَ لَـوْنُ النَّهارِ مِنْ قِـدَمِ العَهْـ   ـدِومـا مَسَّ لونَهـا طُولُ عَـهْدِ[7]
هل فَهِمْتُمْ أَسرارَ ما كان عِنْدِى   مِنْ عُلومٍ مَخْبُوءَةٍ طَىَّ بَرْدِى؟[8]
ذاكَ فَنُّ التَحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ   ـرَ وأَبْلَى البِلَى وأَعْجَزَ نِـدِّى
قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فرْعَوْ   نَ ففِى (مِصْرَ) كان أولُ عَقْدِ[9]

---

(١) الظبا: جمع ظبة؛ وهى حدّ السيف والسنان ونحوهما. والثواء: طول المكث. (٢) الصيقل: شاحذ السيوف وجاليها؛ والجمع صياقل وصياقلة. (٣) رقبى العداء، أى مراقبتهم لى. والقد: القيد يقدّ من جلد. (٤) الحين (بالفتح): الهلاك. (٥) فريتم أى فرأيتم. (٦) الطوق: الطاقة والجهد. والمتحدى: المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر. (٧) حال: تغير وتحوّل. (٨) البردى (بالتشديد وخفف للشعر): نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديماً. (٩) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق.م على أن يمسكا عن الحروب، وأن يكونا صديقين إلى الأبد. وقد حدّدا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ.

إنَّ مَجْدِى فى الأولَياتِ عَرِيقٌ   مَن له مِثل أُولَياتِى ومَجْدِى؟[1]

أنا أمُّ التَّشْرِيعِ قد أخَذَ الرو   مانُ عَنِّىَ الأصولَ فى كلِّ حَدِّ[2]

ورَصَدْتُ النُّجوم مُنْذُ أضاءَتْ   فى سَماءِ الدُّجَى فأحْكَمْتُ رَصْدِى[3]

وشَدا (بنتنور) فَوْقَ رُبوعِى   قَبْلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ)[4]

وقديما بَنَى الأساطِيلَ قَوْمِى   فَفَرَقْنَ البِحارَ يَحْمِلْنَ بَنْدِى[5]

قَبْلَ أسْطُولِ (نْلِسن) كان أُسْطُو   لِى سَرِيًا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ[6]

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى   وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى[7]

أتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى   فى مراسٍ لَمْ أبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى؟

أىُّ شَعْبٍ أحَقُّ مِنِّى بَعيْشٍ   وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ؟[8]

أمِنَ العَدْلِ أنَّهمْ يَرِدُون الْـ   ـماءَ صَفْوًا وأنْ يُكَدَّرَ وِرْدِى؟

أمِنَ الحَقِّ أنهمْ يُطْلِقُون الْـ   ـأُسْدَ منهمْ وأنْ تُقَيَّدَ أسْدِى؟

---

(١) الأوليات، أى السنين الأولى. (٢) يشير إلى ما هو معروف من أن المصريين قديمًا كانوا مصدر القوانين الإدارية، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم، وقد وفد إليهم من واضعى القوانين. ليكرغ وصولون اليونانيان، وعن اليونان أخذ الرومان. (٣) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أممهم أخذت هذا العلم عن المصريين؛ وقد عثر فى بعض المقابر علي آلات للرصد ومصوّرات لشكل السماء ومواقع نجومها. (٤) بنتاءور: أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى. وقبل عهد اليونان»... الخ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب. (٥) فرقن البحار: شققنها. والبند: العلم الكبير. وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عدداً من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين. (٦) نلسن، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة. والنكد: الشؤم. (٧) الجرد: الخيل. ويريد الجيوش البرية. (٨) الوارف من الظلال: الواسع الممتد.

نِصْفُ قَـرْنٍ إلاّ قليـلاً أُعـانِي ما يُعـانِي هَوانَه كلُّ عَـبْـدِ

نَظَرَ اللّهُ لـي فـأَرْشَـد أَبْنا ئي فشَـدُّوا إلى العُلاَ أيَّ شَـدِّ

إنّمـا الحَقُّ قُـوةٌ مِنْ قُـوَى الدَّ يّانِ أَمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِي(1)

قـد وَعَـدْتُ العُـلا بكلِّ أَبِيٍّ مِن رِجالِي فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِي

أَمْـهِرُوها بالرُّوحِ فـهي عَرُوسٌ تَشْنَأُ المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ(2)

وَرِدُوا بي مَناهِـلَ العِزِّ حـتى يَخْطُبَ النجمُ فى المَجَرَّةِ وُدِّى(3)

وارْفَعُوا دَوْلَتِي على العِلْمِ والأَخْـ ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَهُ ليس يُجْدِى(4)

وتَواصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا رَقَ قومًا فما لَه مِنْ مَسَدِّ(5)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ مَ واغْنَى عن اختراعٍ وعَدِّ(6)

شَـهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بنُفُوسٍ صـابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيـر رُبْدِ(7)

فَمَحا الصَّبْرُ آيَةَ العِلْمِ فى الحَرْ بِ وأَنْحَى على القَوِيِّ الأَشَدِّ(8)

إنْ فى الغَرْبِ أَعْيُنًا راصِداتٍ كَحَلَتْها الأَطْماعُ فيكمْ بسُهْدِ(9)

فَوْقَها مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايَا كُمْ ويَطْوِي شُعاعُه كلَّ بُعْدِ(10)

---

(1) الأبيض الهندى: السيف. (2) تشنأ: تكره. والعروض: جمع عرض (بالتحريك)، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير. (3) «يخطب النجم... الخ»: كناية عن العلوّ والرفعة. (4) يجدى: ينفع. (5) من مسدّ، أى من شىء يقوم مقامه. (6) يريد «بالقوم»: الإنجليز، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة. (7) الوغى: الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت، وحومتها: ساحتها. وربد: عابسة متجهمة؛ الواحد أربد. (8) يريد «بآية العلم»: ما اخترعه العلم من أسلحة. وأنحى عليه: أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك. ويريد «بالقوى الأشد»: الألمان. (9) «كحلتها الأطماع ... الخ»، أى طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لاتذوق النوم، تتحين بكم الفرص. (10) المجهر : المنظار .

فــاتَّقُــوها بجُنَّةٍ مِنْ وِئامٍ　　غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْيٍ وكَدِّ[1]

واصفَحُوا عن هَنَاتِ مَنْ كانَ منكمْ　　رُبَّ هافٍ هَفَا على غَيْرِ عَمْدِ[2]

نَحْنُ نَجْتازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ　　راءُ فيه وعَثْرَةُ الرأيِ تُرْدِى[3]

ونُعِيرُ الأهْواءَ حَرْبًا عَوانًا　　مِنْ خِلافٍ والخُلْفُ كالسلِّ يُعْدِى[4]

ونُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْه　　فيُعِيدُ الجَهولُ فيها ويُبْدِى[5]

ويَظُنُّ الغَوِىُّ أنْ لا نظامٌ　　ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى

فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا　　جانِبَيْه بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ

إنَّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ　　قد قَطَعْناهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ

غَمَرَتْنَا سُودُ الأهَاوِيلِ فيه　　والأمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ[6]

وتَجَلَّى ضِيَاؤُه بَعْدَ لأىٍ　　وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ[7]

فاستَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجدُّوا　　فالمَعَالى مَخْطُوبَةٌ للمُجِدِّ[8]

---

(١) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب. والرث: البالى. ويريد «بالعرا»: الصلات والروابط الواحدة عروة. (٢) الهنات: جمع هنة، وهى اليسير المحتمل من الزلات. ويشير هذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدات بوادره فى ذاك الحين على رأسة المفاوضات الرسمية. (٣) تردى: تهلك. (٤) الحرب العوان: التى قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأولى بكرا، وهى أشدّ الحروب. (٥) الضمير فى قوله «جانبيه» يعود على قوله «موقفاً» المتقدّم ذكره. (٦) الأهاويل: جمع أهوال. (٧) بعد لأى، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة. (٨) قصد السبيل: الطريق المستقيم.

١٢ـ الاســـــتقلال

وتصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول إبريل سنة ١٩٢٢ م]

مــالِي أرَى الأكْـمــامَ لا تُفَــتَّحُ ... والرَّوْضَ لا يَذْكُــو ولا يُنَفَّحُ[1]

والطَّيْـرَ لا تَلْهُــو بتَـدْوِيمِــهــا ... فى مُلْكِها الواسِعِ أوْ تَصْدَحُ[2]

والنِّيلَ لا تَـرْقُــصُ أمْــواهُــه ... فَرْحى ولا يَجْرِى بها الأبْطَحُ[3]

والشـمسَ لا تُشْـرِقُ وضّـاءَةً ... تَجْلُو هُمومَ الصَّدْر أو تَنْزِحُ[4]

والبَـدْرَ لا يَبْـدُو على ثَغْـرِه ... مِنْ بَسَمـاتِ اليُمْنِ ما يَشْـرَحُ

والنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أفْــقِــه ... كــأنَّه فى غَـمْــرَةٍ يَسْـبَحُ[5]

ألَم يَجِـئْــهــا نَبَــأٌ جــاءَنا ... بأنَّ مِـصْـرًا حُـرَّةٌ تَمْـرَحُ؟[6]

أصْـبَحْتُ لا أدْرِى على خِبْرَةٍ ... أجَــدَّتِ الأيَّــامُ أمْ تَـمْــزَحُ؟

---

(١) الاكمام: جمع كم (بكسر الكاف)، وهو غطاء الزهر. ويذكو: تسطع رائحته. وينفح: يفوح طيبه. ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة «نفح» بتشديد الفاء؛ فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين. (٢) تدويم الطائر: تحليقه فى الهواء. وتصدح: ترفع صوتها بالغناء. (٣) الأمواه جمع ماء. والابطح: المسيل الواسع للماء. (٤) وضاءة: ذات حسن وبهجة. وتنزح (من بابى منع وضرب)، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه، وأصله من نزح البئر، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل. (٥) يزهر: يضئ ويتلألأ. ويريد «بالغمرة»: الماء الكثير. (٦) تمرح: من المرح (بالتحريك)، وهو شدة الفرح.

أَمَوْقِفٌ للجِدِّ نَجْتازُه ... أَمْ ذاكَ لِلاّهِي بِنَا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاستِقْلالِنا لَمْعَةً ... فى حالِكِ الشَّكِّ فأَسْتَرْوِحُ[1]

وتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثارَها ... فأَنْثَنِى أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ

قد حارَتِ الأَفْهامُ فى أَمْرِهِمْ ... إنْ لَمَّحُوا بالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا[2]

فَقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إنَّكمْ ... مَكانَكُمْ بالأَمْسِ لم تَبْرَحُوا[3]

وقائِلٌ أَوْسِعْ بِها خُطْوَةً ... وَراءَها الغايَةُ والمَطْمَحُ

وقائِلٌ أَسْرَفُ فى قَوْلِه: ... هذا هُوَ استِقْلالُكُمْ فافْرَحُوا

إنْ تَسْأَلُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا ... واستَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا

وأَسِّسُوا دارًا لِنُوّابِكُمْ ... لِلرَّأْيِ فيها والحِجَا أَفْسِحُوا[4]

ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ مِيثاقَها ... أَلاَ تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ

وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها ... فَمِنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ

ولْيَتَّقِ اللّهَ أُولُو أَمْرِها ... أَنْ يُسْكِتُوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحُوا[5]

*

* *

---

(١) الحالك: الشديد السواد. واستروح إلى الشئ: سكن إليه واطمأن. (٢) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز. (٣) لاتعجلوا، اى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بهذا الاستقلال المزعوم، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح. (٤) يلاحظ اننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال: افسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله)، والذى وجدناه انه يقال: فسحت له فيه. قال تعالى: (فافسحوا يفسح الله لكم) (٥) يريد بقوله «يرفحوا»: أنهم ينفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك)، وهى مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط معروفة، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح.

أو تَسْـألُوا القَلْبَ يَقُلْ حـاذِرُوا ... وصـابِرُوا أعْـداءَكُمْ تُفْلِحُـوا[1]

إنِّى أرَى قَـيْـدًا فـلا تُسْلِمُـوا ... أيْدِيَكُمْ فـالقَـيْـدُ لا يُسْـجِحُ[2]

إنْ هَيَّـــأوهُ مِنْ حَـــرِيرٍ لَكُمْ ... فَـــهـــو على لِينٍ به أقْـــدَحُ

حَـتّـامَ - والصَّـبْـرُ له غـايَةٌ - ... لغَـيْـرِنا مِنْ بِئْـرِنا نَمْـتَحُ؟[3]

حَـتّـامَ - والأمْـوالُ مَـشْـفُـوهَةٌ - ... نَمْنَحُ إلاّ (مِـصْـرَ) مـا نَمْنَحُ؟[4]

حَـتّـامَ يُمْـضِى أمْـرَنا غَـيْـرُنا ... وذاكَ بـالأحْـرارِ لا يَـمْـلُـحُ؟

أسَاءَ بَعْضُ النّاسِ فى بَعْضِهِمْ ... ظنا وقد أمْسَوْا وقَدْ أصْبَحُوا[5]

فـأنْتَـهَـزَتْ أعْـداؤُنا نُهْـزَةً ... فـينا ومـا كـانت لـهم تَسْنَحُ[6]

فـالرأىُ كلُّ الرَّأىِ أنْ تُجْـمِـعُوا ... فـــإنَّمـــا إجْـــمـــاعُكُمْ أرْجَحُ

وكلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَـدْعِكُمْ ... فــإنّه فى صَـخْـرَةٍ يَنْطَحُ[7]

أخْـشَى إذا اسـتَكْـثَـرْتُمْ بَيْنَكُمْ ... مِنْ قَـادَةِ الآراءِ أنْ تُفْـضَـحُـوا

فَلْتَقْـصِدُوا مـا اسطَعْتُمْ فـيهِمْ ... فــــإنَّمــــا فى القِلَّة المَنْجَحُ

---

(١) صابروا أعداكم، أى غالبوهم فى الصبر. (٢) لا يسجح، أى لا يفرج عمن تقيد به ولا يفلته.
(٣) متح الماء من البئر يمتحه متحاً: استخرجه منها. (٤) المشفوه: الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد. (٥) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية. وخبر «أمسوا» «وأصبحوا» محذوف للعلم به، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة.
(٦) النهزة: الفرصة . وتسنح: تلوح. (٧) يقال: نطح فى صخرة، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق، وأصله من قول الأعشى:

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

١٣ـ عمر بن الخطاب(١)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨م

حَسْبُ القَوافِي وحَسْبِي حِينَ أُلْقِيها ... أَنِّي إلى ساحَةِ (الفَارُوقِ) أُهْدِيها(٢)

لاهُمَّ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ به ... على قَضاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضِيها(٣)

قد نازَعَتْنِيَ نَفْسِي أَنْ أُوَفِّيَهَا ... وليسَ في طَوْقِ مِثْلِي أنْ يُوَفِّيها(٤)

فمُرْ سَرِيَّ المَعَانِي أنْ يُواتِيَنِي ... فيها فإنِّي ضَعِيفُ الحالِ واهِيها(٥)

(مقتل عمر)

مَوْلَى المُغِيرَةِ، لا جادَتْكَ غادِيَةٌ ... مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها(٦)

مَـزَّقْتَ منه أَدِيمًا حَشْـوُهُ هِمَمٌ ... في ذِمَّةِ اللهِ عالِيها وماضِيها(٧)

---

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشدّ الناس عداوة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلها؛ ولما توفى رسول الله ﷺ كانت له اليد الطولى فى حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما احس أبو بكر بدنو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣هـ. (٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله ﷺ، لأنه فرق بين الحق والباطل. (٣) لاهم، أى اللهم. (٤) الطوق: الجهد والطاقة. (٥) سرى المعاني: شرفها ورفيعها. ويواتيني: يطيعني ويمدني. (٦) مولى المغيرة: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه فى تخفيفه، فلم يجبه إلى ما طلب، فأسرها فى نفسه، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض. والغادية السحابة تنشأ غدوة والجمع الغوادى. وجادتك: أمطرتك، يدعو بانقطاع الخير والرحمة عنه. (٧) الأديم: الجلد. وقوله: «عاليها وماضيها» يصف همة عمر بالرفعة والمضاء.

طَعَنْتَ خاصِرَةَ (الفارُوقِ) مُنْتَقِماً ... مِن الحَنِيفَةِ فى أَعْلَى مجَالِيها[1]

فأصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإسْلامِ حائرةً ... تَشْكُو الوَجِيعةَ لمَّا ماتَ آسِيها[2]

مَضَى وخَلَّفَها كالطَّوْدِ راسِخَةً ... وزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوى مَغانِيها[3]

تَنْبُو المعَاوِلُ عنها وهىَ قائمةٌ ... والهادِمُون كثيرٌ فى نَواحِيها[4]

حتَّى إذا ما تَوَلاَّها مُهَدِّمُها ... صاحَ الزَّوالُ بها فاندَكَّ عالِيها

واهًا على دَوْلَةٍ بالأمْسِ قد مَلأَتْ ... جَوانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أيادِيها[5]

كم ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأجْنِحةٍ ... عَنْ أعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُوارِيها[6]

مِنَ العِنايَةِ قد رِيشَتْ قَوادِمُها ... ومِنْ صَمِيمِ التُّقَى رِيشَتْ خَوافِيها[7]

واللهِ ما غالَها قِدْمًا وكادَ لها ... واجتَثَّ دَوْحَتَها إلاَّ مَوالِيها[8]

لو أنَّها فى صَمِيمِ العُرْبِ قد بَقِيَتْ ... لَما نَعاها على الأيَّامِ نَاعِيها

يالَيْتَهُمْ سَمِعُوا ما قاله (عُمَرٌ) ... والرُّوحُ قد بَلَغَتْ منه تَراقِيها[9]

لا تُكْثِروا مِنْ مَوالِيكُمْ فإنَّ لهمْ ... مَطامِعاً بَسَمَاتُ الضَّعْفِ تُخْفِيها

---

(١) الخاصرة: الخصر. وفى أعلى مجاليها، اى فى اوضح مظاهرها. (٢) الآسي: الطبيب. (٣) الطود: الجبل العظيم. والمغاني: المنازل، الواحد مغنى. (٤) تنبو: تكل وترتد. (٥) الايادى: النعم. (٦) كم ظللتها، اى أن هذه الدولة ظللت جوانب الشرق.. (٧) القوادم: عشر ريشات فى مقدم الجناح، وهى كبار الريش الواحدة قادمة. والخوافى: صغار الريش، وهى تحت القوادم. (٨) غالها: اغتالها وأهلكها. واجتث: استاصل. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل، والجمع دوح. ويريد «بالموالى»: غير العرب. ويشير بهذا البيت إلى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم، فهم الذين قتلوا عمر، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الأموية، وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت. (٩) يقال بلغت روحه التراقى، إذا شارف الموت. والتراقى: أعالى الصدر حيث يترقى النفس.

(إسلام عمر)

رأيتَ فـى الدِّين آراءً مُـوَفَّـقَـةً فـأنـزَلَ اللهُ قـرانًا يُزَكِّيـهـا(١)

وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرَّتْ بصُحْبَتِـه عَيْنُ الحَنيفَةِ واجتازَتْ أمانيها

قد كنتَ أعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها بنِعْمَةِ الله حِصْنًا من أعاديها(٢)

خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (محمّدِها) وللحَنيـفَـةِ جَبّـارٌ يُواليـهـا(٣)

فلَم تَكَدْ تَسْـمَعُ الآياتِ بالِغَـةً حتى انكفَأْتَ تُناوِى مَنْ يُناوِيها(٤)

سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرَتِّلِها فـزَلْزَلَتْ نيَّةً قـد كنتَ تَنْوِيهـا(٥)

وقُلْتَ فـيـهـا مَـقـالاً لا يُطاوِلُه قَوْلُ المُحبِّ الّذى قد بات يُطْرِيها(٦)

ويومَ أَسلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وارتَفَعَتْ عن كاهِلِ الدِّينِ أثْقالٌ يُعانيها(٧)

وَصاحَ فيه (بِلاَلٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ لهـا القُلوبُ ولَبَّتْ أمْرَ بارِيهـا(٨)

---

(١) يزكيها: يعززها ويؤيدها. ويشير بهذا البيت إلى ما كان من عمر - رضى الله تعالى عنه - حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية، منها آية التحريم فى الخمر لما قال: «اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا». ومنها آية الاستئذان فى الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وكان نائما؛ فقال: «اللهم حرم الدخول»؛ فنزلت آية الاستئذان الخ.. (٢) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبى والمسلمين قبل إسلامه، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الإسلام بدخوله فيه. (٣) يواليها: يناصرها، وهو الله تعالى. ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب فى إسلام عمر، وذلك أنه كان خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبى ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد؛ وعيره ذلك، فرجع عمر إليهما غاضبا، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم، وأحسوا هم به، فاختفى خباب، ودخل عمر، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها، فأعجب به وأطراه، ومال قلبه إلى الإسلام، فقصد إلى النبى ﷺ وأسلم على يديه. (٤) انكفأ: رجع. وتناوى: تناوئ، أى تعادى. (٥) يريد «بالنية»: النية التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله ﷺ. (٦) لا يطاوله: لا يغالبه. وأطراه يطريه: أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه. (٧) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلى العنق. (٨) بلال، هو ابن رباح، وكان مولى لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، اشتراه ثم أعتقه، وكان له خازنا، ولرسول الله ﷺ مؤذنا، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين، وجهر بلال بالأذان.

فأنتَ فى زَمَنِ (المُختارِ) مُنْجِدُها ... وأنتَ فى زَمَنِ (الصِدِّيقِ) مُنْجِيها[1]

كم استَراكَ رسُولُ اللهِ مُغْتَبِطًا ... بحِكْمَةٍ لكَ عند الرَّأيِ يُلْفِيها[2]

(عمر وبيعة أبى بكر)

ومَوْقِفٍ لك بَعْدَ (المُصْطَفَى) افتَرقَتْ ... فيه الصَّحابةُ لَمّا غابَ هادِيها[3]

بايَعْتَ فيه (أبا بكْرٍ) فبايَعَه ... على الخِلافَةِ قاصِيها ودانِيها

وأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لولاكَ لاستَعَرَتْ ... بين القَبائِلِ وانسابَتْ أفاعِيها[4]

باتَ النبىُّ مُسَجىً فى حَظِيرتِه ... وأنتَ مُسْتَعِرُ الأحشَاءِ دامِيها[5]

تَهِيمُ بين عَجِيجِ الناسِ فى دَهَشٍ ... مِنْ نَبْأةٍ قد سَرَى فى الأرضِ سارِيها[6]

تَصِيحُ: مَنْ قال نَفْسُ المصطفى قُبِضَتْ ... عَلَوْتُ هامَتَه بالسَّيْفِ أبْرِيها[7]

أنْساكَ حُبُّكَ طه أنّه بَشَرٌ ... يُجْرِى عليه شُؤُونَ الكَوْنِ مُجْرِيها

وأنّه وارِدٌ لابُدّ مَوْرِدَه ... مِنَ المَنِيَّةِ لا يُعْفِيه ساقِيها

---

(١) يريد بالصدّيق: ابا بكر أوّل الخلفاء الراشدين؛ ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة ابى بكر، وحسمه عمر يوم السقيفة، ومناصرته لابى بكر مدّة خلافته، وسيشير الشاعر إلى ذلك بعد. (٢) استراك: أصلها استرءاك، اى طلب رايك. (٣) يشير إلى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى *، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى اختيار خليفة لهم، وإلى فضل عمر يومها بلمه شعثهم وإسراعه إلى مبايعة ابى بكر بالخلافة. (٤) استعرت: اتقدت. (٥) سجى الميت: مدّ عليه ثوبه وغطاه به. (٦) هام يهيم: ذهب على وجهه لا يدرى أين ذهب. والعجيج: الصياح ورفع الصوت. والنبأة: ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى *، حتى إن عمر وقف بينهم يهدّدهم بقطع راس كل من يقول: مات محمد، حتى جاءهم ابو بكر، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية: فعادوا إلى صوابهم.. (٧) الهامة: الراس..

نَســـيتَ فـى حَقِّ طه آيةً نَزَلَتْ وقــد يُذَكِّــرُ بالآيات ناسِــيــهــا

نَهِلْتَ يومــا فكانت فِـتْنَةٌ عَــمَمٌ وثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دَياجيها[١]

فللسَّقِـيفةِ يومٌ أنتَ صــاحِـبُـه فيه الخِلافةُ قد شِيدَتْ أواسِيها[٢]

مَدَّتْ لها (الأوْسُ) كَفاً كَىْ تَناوَلَها فمَدَّت (الخَزْرَجُ) الأيْدِى تُبارِيها[٣]

وظَنَّ كلُّ فَـريقٍ أنّ صــاحِـبَــهُمْ أوْلَى بهاوَأتَى الشَّحْنَاءَ آتيِها[٤]

حتى انبَرَيتَ لهمْ فارتدَّ طامِعُهُمْ عنها وأخَّى (أبو بَكْرٍ) أواخِيَها[٥]

(عمر وعلى)

وقَــوْلَةٍ (لعَلِّي) قــالَهــا (عُــمَــرُ) أكْرِمْ بسامِعِها أعْظِمْ بملْقِيها[٦]

حَــرَقْتُ دارَكَ لا أُبْقِى عليكَ بهــا إنْ لم تُبـايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فـيـهـا

ما كان غيرُ (أبى حَفْصٍ) يَفُوهُ بها أمامَ فـارِس (عَدْنانٍ) وحـامِيها

كلاهُمَا فى سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُهُ لا تَنْثَنِى أو يكونَ الحَقُّ ثانِيَــهـا

فـاذْكُـرْهُمـا وتَرَحَّمْ كلَّمـا ذكَـرُوا أعـاظِمـاً أَلِّهُوا فى الكَوْنِ تَألِيها

---

(١) عمم: عامة وانجابت: انقشعت وزالت. والدياجى: الظلمات. (٢) الاواسى: جمع اسية، وهى العمود.
(٣) الضمير فى «لها» و«تناولها» للخلافة. والاوس والخزرج: قبيلتا الأنصار. وتباريها: تنازعها الغلبة على الخلافة. (٤) صاحبهم، اى الذى نصبوه للخلافة منهم. (٥) أخى أواخيها، اى مكن لها ووثق صلاتها وقواها. والأواخى: العرا، الواحدة اخية. (٦) يشير بهذه الأبيات إلى امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول ﷺ.

(عمر وجبلة بن الأيهم)

كَمْ خِفْتَ فى اللهِ مَضْعُوفًا دَعاكَ به ... وكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًا يَنْثَنِى تِيهـا[1]

وفى حَدِيثِ فَتى غَسّانَ مَوْعِظَةٌ ... لكلِّ ذى نَعْرَةٍ يأبىَ تَنَاسِيهَا[2]

فـمـا القَـوِىُّ قَـوِيًا رَغْمَ عِـزَّتِهِ ... عند الخُصومَةِ (والفارُوقُ) قاضيها

وما الضَّعِيفُ ضعيفًا بعدَ حُجَّتِهِ ... وإنْ تَخَـاصَمَ وَالِيـهـا ورَاعِيـهـا

(عمر أبو سفيان)

وما أَقَلْتَ (أبا سُفْيانَ) حِينَ طَوىَ ... عَنكَ الهَدِيَّةَ مُعْتَزًا بِمُهْدِيهَا[3]

لَم يُغْنِ عنه وقد حاسَبْتَه حَسَبٌ ... ولا (مُعَاوِيَةٌ) بالشامِ يَجْبِيـهـا

قَيَّدْتَ منه جَلِيـلاً شـاب مَفْرِقُه ... فى عِزَّةٍ ليسَ مِنْ عِزٍّ يُدانِيهـا[4]

---

(١) المضعوف، اى الضعيف؛ والقياس مضعف، كقولهم: اسعده الله فهو مسعود؛ والقياس مسعد (بفتح العين). وبه، اى بالله. وتيها: كبرا. (٢) فتى غسان، هو جبلة بن الايهم احد ابناء الغساسنة ملوك الشام، كان قد اعتنق الإسلام، وبينما هو يوما يطوف رذ وطىء أعرابى ثوبه، فلطمه جبلة لطمة هشمت انفه، فشكاه الاعرابى إلى عمر، فأمر ان يقتص منه، وأبى جبلة ذلك، وهرب، والتجا إلى القسطنطينية، وتنصر والنعرة (بتحريك العين) ـ وسكنت هنا للضرورة ـ الخيلاء والكبر. (٣) وما اقلت ابا سفيان: اى ما تركته ولا تغاضيت عنه، وبمهديها، اى معاوية. ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من ان معاوية ـ وهو على الشام ـ بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب إلى أبيه ابى سفيان ان يدفع ذلك إلى عمر، فخرج الرسول حتى قدم على ابى سفيان بالمال والأدهم؛ فذهب ابو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال: فأين المال يا ابا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعونة، ولنا فى بيت المال حق، فإذا اخرجت لنا شيئا قاضيتنا به؛ فقال عمر: اطرحوه فى الأدهم (اى القيد) حتى يأتى بالمال، فأرسل ابو سفيان من اتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: ارأيت امير المؤمنين اعجب بالأدهم قال: نعم وطرح فيه اباك، قال: ولم؟ قال: جاء بالأدهم وحبس المال؛ قال: اى والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه. (٤) يريد بقوله: «جليلا» وما بعده من الأوصاف: ابا سفيان. والمفرق: وسط الرأس.

قد نَوَّهُوا باسمِه فى جاهِلِيَّتِه … وزادَه سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ تَنْوِيها[1]

فى فَتْحِ مكَّةَ كانت دارُه حَرَمًا … قد أَمَّنَ اللهُ بعدَ البَيْتِ غاشِيها[2]

وكُلُّ ذلك لم يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرٍ) … فى هَفْوَةٍ (لأبِى سُفْيان) يَأتِيها

تاللهِ لو فَعَلَ (الخَطَّابُ) فَعْلَتَه … لَمَا تَرَخَّصَ فيها او يُجازِيها[3]

فلا الحَسابَةُ فى حَقٍّ يُجامِلُها … ولا القَرابةُ فى بُطْلٍ يُحابِيها[4]

وتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لو أرادَ بها … شُمُّ الجِبالِ لَمَا قَرَّتْ رَواسِيها[5]

(عمر وخالد بن الوليد[6])

سَلْ قاهِرَ الفُرْسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ … له الفُتوحُ وهل أَغْنَى تَوالِيها[7]

غَزَى فأَبْلَى وخَيْلُ اللهِ قد عُقِدتْ … باليُمْنِ والنَّصْرِ والبُشْرَى نَواصِيها[8]

---

(١) نوه به. رفع ذكره ومدحه وعظمه. (٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما اختص به رسول الله ﷺ ابا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين وقوله: «بعد البيت» أى بعد الكعبة. (٣) ترخص فى الأمر: تساهل، يقول: لو فعل الخطاب، وهو أبو عمر، مثل هذا، ما تساهل فى عقابه حتى يجازيه. (٤) الحسابة: الحسب، والبطل: الباطل. (٥) الشم: المرتفعة. والرواسى: الثابتة.. (٦) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين فى فتح الشام، إذ جاء البريد من المدينة ينعى ابا بكر، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب، ومعه امر بعزل خالد بن الوليد، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى ابى عبيدة الجراح، فكتم ابو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق. ويقال: إن سبب عزل خالد امران: أولهما ما كان فى نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة، وتزوجه امرأة فى حرب الردة؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه فى جميع حروبه فى العراق والشام، وذلك ليمن طالعه فى الحروب وشجاعته. وقد علم عمر بذلك، فخشى من افتتان الناس به لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم. ولم يكتم عمر عن خالد ما فى نفسه من جهته، بل اظهره له. فقال له بعد عزله: «وما عزلتك لريبة فيك، ولكن افتتن الناس بك، فخفت أن تفتتن بالناس». وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعا لعمر، وقبل موته أوصى عمر بأولاده؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك. (٧) قاهر الفرس والرومان: خالد بن الوليد. (٨) النواصى: جمع ناصية، وهى مقدم الرأس. والمسموع فى مثل هذه العبارة إدخال الباء على «النواصى» لا على «اليمين» كما هنا؛ ومنه قوله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير» فدخولها على اليمن على سبيل القلب، والقلب فى اللغة سماعى..

يَرمى الأعـادِى بآراءٍ مُـسَـدَّدَةٍ	وبالفَوارسِ قد سالَتْ مَذاكِيها[١]
مـا واقَعَ الرُّومَ إلاَّ فَـرَّ قَـارِحُـهـا	ولا رَمى الفُرسْ إلاَّ طاشَ راميها[٢]
ولَم يَجُـزْ بَلْدَةً إلا سَـمِـعْتَ بـهـا	الله أكبرُ تَدْوى فى نوَاحِيها[٣]
عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَتْ مُحَجَّلَةً	مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصِيها[٤]
و(خالدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ مُوقِدُها	و(خالدٌ) فى سَبِيل اللهِ صَالِيها[٥]
أتاهُ أمْـرُ (أبِى حَـفْصٍ) فـقَـبَّلَه	كـمـا يُقَـبِّلُ آىَ الله تالِيـهـا[٦]
واستَقْبَلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَطْوَتِهِ	ومَجْدهِ مُستَرِيحَ النَّفْسِ هادِيها
فاعْجَبْ لَسَيِّدِ مَخْزُومٍ وفارِسِها	يومَ النِّزالِ إذا نادىَ مُنادِيها[٧]
يَقُـودُه حَـبَـشِىٌّ فى عِـمـامَـتِـه	ولا تُحـرِّكُ مَـخْزُومٌ عَـوالِيـهـا[٨]
أَلْقَى القِيادَ إلى الجَرّاحِ مُمْتَثِلاً	وعِزَّةُ النَّفْسِ لَم تُجْرَحْ حَواشِيها[٩]
وانَضمَّ للجُنْد يَمْشِى تحتَ رايَتِهِ	وبالحـيـاةِ إذا مـالَتْ يُفَـدِّيهـا
ومـا عَـرَتْه شكُوكٌ فـى خَلِيـفَـتِـه	ولا ارتَضَى إمْرَةَ الجَرّاحِ تَمْوِيها[١٠]
(فخالدٌ) كان يَدْرِى أنَّ صاحِبَه	قد وَجَّهَ النَّفْسَ نَحوَ اللهِ تَوْجِيها[١١]

---

(١) المذاكى: الخيل التى تم سنها وكملت قوّتها. وانسيال المذاكى: كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسياب الماء. (٢) قارحها، أى القوى المكتمل منهم. (٣) المسموع تدوّى (بتشديد الواو)، أى يرتفع الصوت بها. (٤) محجلة، أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها. ومعنى البيت أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح. (٥) صاليها: يقاسى حرها وشدتها. (٦) أمر أبى حفص، أى أمر عمر بعزله. (٧)مخزوم: قبيلة خالد. (٨) يريد «بالحبشى» بلال بن رباح، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته، ثم رجعها إلى رأسه ثانية، وقال: نطيع لمراحنا ونكرم سادتنا. والعوالى: الرماح. وتحريكها: كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد. (٩) الضمير فى «ألقى» يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد، والجراح، هو أبو عبيدة بن الجراح. (١٠) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن.. (١١) صاحبه أى عمر بن الخطاب.

فـمـا يُعـالِجُ مِنْ قَـوْلٍ ولا عَـمَلٍ   إلاّ أرادَ به للنّاسِ تَرْفِـيـهـا(١)

لِذاكَ أوْصَى بأولادٍ له (عُـمَـرًا)   لَمّا دَعاهُ إلى الفِرْدَوْسِ داعِيـها

وما نَهَى (عُمَرٌ) في يومِ مَصْرَعِهِ   نِساءَ مَخزُومَ أنْ تَبْكي بواكِيها(٢)

وقيل: خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبنَا   فيه وقد كان اعْطَى القَوْسَ بارِيها(٣)

فقال: خِفْتُ افتِتانَ المُسْلِمين به   وفِتْنَةُ النَّفْسِ أعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

هَبوه أخْطَأَ في تأوِيل مَقْصِدِهِ   وأنّها سَقْطَةٌ في عَيْنِ ناعِيها(٤)

فلَنْ تَعيبَ حَصِيفَ الرأى زَلَّتُه   حتّى يَعيبَ سُيُوفَ الهِنْدِ نابِيها(٥)

تاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ في (ابن الوَلِيدِ) هَوًى   ولا شَفَى غُلَّةً في الصَّدْرِ يَطْوِيها

لكِنّه قـد رَأى رَأيًا فـأتْبَـعَـه   عَزِيمَةً منه لم تُثْلَمْ مَواضِيها(٦)

لَمْ يَرْعَ في طعَةِ المولَى خُؤُولَتَه   ولا رَعَى غيرها فيما يُنافيها(٧)

وما أصابَ ابنَه والسَّوْطُ يأخُذُه   لَدَيْه مِنْ رَأفَةٍ في الحَدِّ يُبْدِيها(٨)

إنَّ الّذي بَرَأَ (الفـارُوقَ) نَزَّهَهُ   عن النَّقائِصِ والأغْراضِ تَنْزِيها(٩)

---

(١) الترفيه: الرغد والنعيم. (٢) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد بن الوليد، فقال: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة. (٣) صاحبنا، يريد أبا بكر، «وفيه» أي في خالد. وأعطى القوس باريها، أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق وهو مثل يضرب في تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده. (٤) هبوه. أي هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفي عين ناعيها، أي عين من يعدّد سقطات عمر وزلاته. (٥) حصيف الرى: جيده ومحكمه. «ونابيها» أي ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة في الرأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبو مرة. (٦) المواضي: السيوف الماضية. «ولم تثلم» أي لم تكسر أشفارها. (٧) خئولته، أي خئولة قبيلة خالد لعمر: فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، «وفيما ينافيها» أي في معصية المولى. (٨) يقول: إن إبنه لم ينل منه رأفة وهو يحدّ في شرب الخمر، والسياط تأخذ من جسمه. ويشير بذلك إلى حدّه ولده عبد الرحمن في الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات. (٩) برأ الفاروق: خلقه.

فَذَاكَ خَلْقٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طِينَتُه   اللهُ أَوْدَعَ فيها ما يُنَقِّيها

لا الكِبْرُ يَسْكُنُها، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها،   لا الحِقْدُ يَعْرِفُها، لا الحِرصُ يُغْوِيها

(عمر وعمرو بن العاص[1])

شاطَرْتَ داهيَةَ السُّوّاسِ ثَرْوَتَه   ولَمْ تَخَفْه بمِصْرٍ وهْوَ والِيها[2]

وأنتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها   ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَوادِيها

لَم تُنْبِتِ الأرضُ كابن العاصِ داهِيَةً   يَرْمِى الخُطوبَ بَرأىٍ لَيسَ يُخْطِيها

فلَم يُرِغْ حِيلَةً فيما أَمَرْتَ به   وقامَ (عمرٌو) إلى الأجْمَالِ يُزْجِيها[3]

ولَمْ تُقِلْ عامِلاً منها وقد كَثُرَتْ   أَمْوالُهُ وفَشَا فى الأرضِ فاشِيها[4]

(عمر وولده عبد الله[5])

وما وَقَى ابنُكَ (عبدِ اللهِ) أَيْنُقَه   لمّا اطّلَعْتَ عليها فى مَراعِيها[6]

رأيتَها فى حِماهُ وهى سارِحَةٌ   مِثْلَ القُصورِ قد اهتَزَّتْ أعالِيها

---

(١) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين، فينبغى أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال، فعل هذا عمر مع من رأى لديه ثروة لم يعلم مصدرها. وقد كتب إلى عمرو بن العاص: إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر. فكتب إليه عمرو: إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا. فكتب إليه: إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا؛ وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه عليه وأخرج إليه ما يطالبك به، وأعفه من الغلظة عليك، فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ومقاسمة ابن مسلمة ماله. وإلى هذه القصة يشير الشاعر. (٢) داهية السواس: عمرو بن العاص. (٣) أراغ يريغ: طلب. ويزجيها: يسوقها (٤) ولم تقل عاملا منها، أى لم تعف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله. وفشا، أى انتشر وكثر. (٥) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن عمر مر يوما بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها، فقيل له: عبد الله. فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها (٦) الأينق: النياق.

فقلت: ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها لو لَم يَكُنْ وَلَدِى أو كان يُرْوِيها

قد استعانَ بِجاهِى فى تجارَته وباتَ باسمِ (أبى حَفْصٍ) يُنَمِّيها[1]

رُدوا النِّيَاقَ لَبْيتِ المالِ إنّ له حَقُّ الزِّيادةِ فيها قَبْلَ شارِيها

وهذه خُطَّةٌ للهِ واضِعُها رَدَّتْ حُقوقاً فأغْنَتْ مُسْتَمِيحِها[2]

ما الاشتراكيّةُ المَنْشُودُ جانبُها بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنًى مِنْ مَبانِيها[3]

فإنْ نكنْ نَحْنُ أَهْلِيها ومَنْبِتَها فإنّهم عَرَفُوها قَبْلَ أَهْلِيها[4]

عمر ونصر بن حجاج[5]

جَنَى الجَمالُ على (نَصْرٍ) فَغرَّبَه عَنِ المَدِينةِ تَبْكِيه ويَبْكِيها

وكَمْ رَمَتْ قَسِماتُ الحُسْنِ صاحِبَها وأَتْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها[6]

وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها لَمَا استَطالَتْ عليها كفُّ جانِيها

كانت له لِمَّةٌ فَيْنانَةٌ عَجَبٌ على جَبِينٍ خَلِيقٍ أنْ يُحَلِّيها[7]

---

(١) ينميها: يزيدها. (٢) أغنت مستميحيها، اى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال. (٣) المنشود: المطلوب. يريد أن المذهب الاشتراكى المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر. (٤) فإن نكن نحن، اى العرب، أهل هذه الخطة وفينا نبتت. فإن الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها. (٥) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ماروى من أن عمر - رضى الله عنه - مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقالت لها امرأة معها: من نصر؟ قالت: رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد. فدعا بها عمر، فخفقها بالدرّة، ودعا بنصر فحلق لمته، فعاد احسن مما كان؛ فقال: لا تساكنى فى بلدة يتمناك النساء بها، واخرجه إلى البصرة. وحاول نصر ان يعود إلى المدينة، فأبى ذلك عليه عمر وقال: اما ولى سلطان فلا. وكان نصر من اجمل الناس. (٦) قسمات الحسن: مجاليه. وقصبة السبق: ما ينصب فى ميدان السباق، فمن سبق اقتلعها واخذها ليعلم انه الاسبق. (٧) اللمة (بالكسر): الشعر المجاور شحمة الأذن، والجمع لمم. وفينانة: طويلة حسنة.

وكان أنَّى مَشَى مالَتْ عَقَائِلُها — شَوْقًا إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها[1]

هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالي بِاسمه شَغَفًا — ولِلْحِسَانِ تَمَنٍّ في لَيَالِيها

جَــزَزْتَ لِمَّــتَــهُ لَمَّا أُتيتَ به — ففاقَ عاطِلُها في الحُسْنِ حالِيها[2]

فَصِحْتَ فيه تَحَوَّلْ عن مَدِينَتِهِمْ — فإنَّها فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمادِيها

وفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نَوافِحُها — كفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هَبَّتْ سَوافِيها[3]

(عمر ورسول كسرى[4])

ورَاعَ صاحِبَ (كِسْرَى) أنْ رَأَى عُمَرًا — بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وهو راعِيها[5]

وعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الفُرْسِ أنَّ لَها — سُورًا مِن الجُنْدِ والأحراسِ يَحمِيها

رآه مُسْتَغْرِقًا في نَوْمِهِ فَرأى — فيه الجَلالةَ في أَسْمَى مَعانيها

فوقَ الثَّرَى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً — بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها[6]

فَهانَ في عَيْنِهِ ما كان يُكْبِرُهُ — مِنَ الأكاسِرِ والدُّنيا بِأيْدِيها

---

(١) عقائلها، أى عقائل المدينة، وعقائل النساء: كرائمهن، الواحدة عقيلة. ويسبيها: يأسرها. (٢) عاطل اللمة: المجرد منها. وحاليها: المتزين بها. (٣) نوافحها: أى روائحها الطيبة، جمع نافحة. وسوافي الحرب، أى عواصفها. والأصل في السوافي: الريح تحمل الغبار. يقول: إن الحسن يفعل في النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها. ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ «لوافحها» باللام مكان «نوافحها» بالنون، واللوافح: الرياح الحارة المحرقة، جمع لافحة؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر. (٤) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره، فعلم أنه لا يسكن قصرا، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد في رعيته؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة: عدلت يا عمر وأمنت فنمت. (٥) عطلا (بالضم)، أى متجردا من مظاهر الأبهة. (٦) الدوح: جمع دوحة، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل، واشتمل الرجل بثوبه: تلفف به وأداره على جسده.

وقـال قَوْلَةَ حَقٍّ أصْبَحَتْ مَثَـلاً ... وأصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيل يَرْوِيها:

أَمِنْتَ لَمَّا أَقَـمْتَ العَـدْلَ بَيْنَهُمُ ... فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيـها

(عمر والشورى[1])

يا رافِعًا رايةَ الشُّورَى وحارِسَـها ... جَزاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عن مُحِبِّيها

لَم يُلْهِكَ النَّزْعُ عن تأييد دَوْلَتِها[2] ... ولِلْمَنِيَّـةِ آلامٌ تُعـانِيـهـا

لَمْ أَنْسَ أَمْـرَكَ لِلمِـقْداد يَحْمِلُه ... إلى الجمَـاعـةِ إنْذارا وتَنْبِـيـهـا

إنْ ظَلَّ بَعْـدَ ثَلاثٍ[3] رأْيُها شُـعَبًا ... فَجَرِّدِ السَّيْفَ واضْرِبْ فى هَوادِيها

فَاعَجبْ لقوةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُها ... طَعْمُ المَنِيَّةِ مُـرًّا عن مَـرامِيـهـا

دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّورَى بمَوْضِعِها ... فـعاشَ مـا عـاشَ يَبْنِيها ويُعْلِيها

ومـا اسـتَبَدَّ برأيٍ فـى حُكومَتِـه ... إنَّ الحُكومَـةَ تُغْرِى مُـسْتَبِدِّيها

رأى الجمَاعةِ لا تَشْقَى البِلادُ به ... رَغْمَ الخِلافِ ورَأْىُ الفَرْدِ يُشْقِيها

---

(١) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم، وكان يقول: لا خير فى أمر أبرم من غير شورى. وهو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة، فقد سئل عندما طعن عمن يوصى به بعده، فقال للمقداد بن الأسود: اذاوضعتمونى فى حفرتى فادخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رءوسهم، فإن إجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلامنهم، فإن لن يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس. وإلى هذه القصة يشيرالشاعر. (٢) دولتها، أى الشورى. (٣) بعد ثلاث، أى بعد ثلاث ليال. والهوادى: الأعناق.

(مثالٌ مِن زُهدِه)

يا مَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزِينَتِها ... فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها[1]

ماذا رأيتَ بباب الشامِ حين رَأَوْا ... أنْ يُلْبِسُوكَ مِن الأثْوابِ زاهِيها

ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَوْنِ تَقْدُمُه ... خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرائِيها[2]

مَشَى فَهمْلَجَ مُخْتالاً براكبِه ... وفى البَرانِينِ ما تُزْهَى بِعالِيها[3]

فَصِحْتَ: يا قومُ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنى ... وداخَلَتْنِىَ حالٌ لستُ أدْرِيها

وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ) ... ويَرْتَضِى بَيْعَ باقِيهِ بفانِيها[4]

رُدُّوا رِكابِى فلا أبْغِى به بَدَلاً ... رُدُّوا ثِيابى فَحسْبِى اليومَ بالِيها

(مثالٌ مِن رَحْمَته[5])

مَنْ رآهُ أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا ... والنارُ تَأْخُذُ منه وهْوَ يُذْكِيها[6]

وقد تَخَلَّلَ فى أثْناءِ لِحْيَتِهِ ... منها الدُّخانُ وفَوهُ غابَ فى فِيها[7]

---

(١) صدف: أعرض وصدّ. (٢) البرذون: ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه، فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قبح الله من علمك، هذا من الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه؛ ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا. (٣) الهملجة: حسن السير فى تبختر. وازهى (بالبناء للمجهول): اختال. وعاليها: راكبها. (٤) يصبو يميل. (٥) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام؛ ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا. (٦) انبطح: نام على وجهه ممتداً على الأرض. وأذكى النار: أوقدها.. (٧) فوه غاب فى فيها، أى فمه غاب فى فم النار وهو ينفخها.

رأى هُناك أمـيـرَ المُؤْمِنين عَلَى ... حـالٍ تَرُوعُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رائيها
يَسْتَقْبِلُ النارَ خَوْفَ النارِ فى غَدِهِ ... والعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مَآقِيها[1]

(مثالٌ مِن تَقَشُّفِه ووَرَعِه[2])

إنْ جاعَ فى شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمُ ... فى الجُوعِ أو تَنْجَلِى عنهم غَواشِيها[3]
جُوعُ الخَلِيفةِ - والدُّنيا بقَبْضَتِه - ... فى الزُّهْدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحانَ مُولِيها
فمَنْ يُبارِى (أَبا حَفْصٍ) وسِيرَتَه ... أَوْ مَنْ يُحاوِلُ (لِلفَارُوقِ) تَشْبِيها
يومَ اشتَهَتْ زَوْجُه الحَلْوَى فقالَ لها: ... مِن أينَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأَشْرِيها
لا تَمْتَطِى شَهَواتِ النَّفْسِ جامِحَةً ... فكِسْرَةُ الخُبْزِ عَنْ حَلْواكِ تَجْزِيها[4]
وهَلْ يَفِى بَيْتُ مالِ المُسْلِمين بما ... تُوحِى إليكِ إِذا طاوَعْتِ مُوحِيها
قـالت: لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ أَرْزَؤُه ... مَالاً لِحاجَةِ نَفْسٍ كنتُ أَبْغِيها[5]
لكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنا ... فِى كلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَوِّيها[6]
حتَّى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها ... شَرَيْتُها ثُمَّ إنِّى لا أُثَنِّيها[7]
قال: اذهَبى واعلَمِى إنْ كنتِ جاهِلَةً ... أَنَّ القَناعةَ تُغْنِى نَفْسَ كاسِيها[8]

---

(١) المآقى: جمع مأق ومؤق، وهو طرف العين مما يلى الأنف، وهو مجرى الدمع. (٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية إلى حادثتين من تقشف عمر: الأولى، ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهى المجاعة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون. والثانية، ما حكى عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها، فلما نمى هذا إلى عمر ردّ ما ادّخرت إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادّخرت.
(٣) «أو تنجلى» الخ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها، أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدّة والقحط الواحدة غاشية. (٤) تجزيها، أى تغنى عنها . (٥) لست أرزؤه مالا، أى لست أصيب من بيت المال شيئا.
(٦) وظيفتنا، أى ما يجرى علينا من بيت المال. (٧) لا أثنيها، أى لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية.
(٨) كاسيها، أى المتجمل بها.

وأَقْبَلَتْ بَعْد خَمْسٍ وهى حاملَةٌ ... دُرَيْهمات لِتَقْضِى مِنْ تَشَهيِّها

فقال: نَبَّهْت منِّى غافلاً فدَعى ... هذى الدَّراهمَ إذْ لا حَقَّ لى فيها

ويُلْقِى علَى عُمَرٍ يَرْضَى بمُوفيَةٍ ... على الكَفاف وينْهَى مُسْتَزِيديها(۱)

مازادَ عَنْ قُوتنا فالْمسلمُون به ... أوْلَى فقُومِى لبيْتِ المال رُدِّيها

كذاك أخْلاَقُه كانتْ وما عُهِدَتْ ... بعد النُّبُوة أخْلاَقٌ تُحَاكيها

(مثالٌ من هَيْبَته)

فى الجاهلِيّة والإسلام هَيْبَتُه ... تَثْنِى الخُطوبَ فلا تَعْدُو عَواديها

فى طَىِّ أَسْرارُ مَرْحَمَةٍ ... للعالَمين ولكنْ ليسَ يُفْشيها

وبيْنَ جَنْبَيْه فى أوْفَى صَرامَته ... فُؤادُ والدة تَرْعَى ذَرارِيها(۲)

أغْنَتْ عن الصَّارِمِ المَصْقُولِ دِرَّتُه ... فكَمْ أخَافَتْ غَوِىَّ النَّفْسِ عاتيها(۳)

كانت له كعَصَا (مُوسَى) لصاحِبِها ... لا يَنْزِلُ البُطْلُ مُجْتازًا ببواديها(٤)

أخافَ حتَّى الذَّرارِى فى ملاعِبِها ... وراعَ حتَّى الغَوانِى فى مَلاَهيها(٥)

أرَيْتَ تِلْكَ الَّتى لله قد نَذَرَتْ ... أنْشُودةً لِرَسُولِ الله تُهْدِيها(٦)

---

(۱) بموفية على الكفاف، أى بما يزيد على الحاجة من الرزق. (۲) اوفى صرامته، اى فى اقصى شدّته.
(۳) الصارم المصقول: السيف المجلوّ. والدرّة: العصا يضرب بها، ودرة عمر معروفة. والغوى: الضال.
(٤) البطل (بالضم): الباطل. ويريد بالشطر الثانى انه لا يضرب بها إلا فى حق. (٥) الغوانى: النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة، الواحدة غانية. (٦) اريت، اى ارايت: ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى ان تضرب بالدف وتغنى بين يديه، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفى بنذرها، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكر ان عليها ذلك، فلما طلع عليها عمر اسقط فى يدها واضطربت فروّح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال مبتسما: «لقد فرّ شيطانها» حين راى عمر.

قالت: نَذَرْتُ لئن عادَ النبيُّ لَنا   منْ غَزْوَةٍ لَعَلَى دُفِّي أغَنِّيها

ويَمَّمَتْ حَضْرَةَ الهادي وقد مَلأَتْ   أنْوار طَلْعَتِهِ أرْجاءَ ناديها

واستأذَنَتْ ومَشَتْ بالدفِّ وانبَعَثَتْ   تُشْجِي بألحانها ما شاءَ مُشْجِيها[1]

(والمصطفى) (وأبو بكْرٍ) بجانبهِ   لا يُنكِرانِ عليها مِنْ أغانيها

حتى إذا لاحَ مِنْ بُعْدٍ لها (عُمَرُ)   خارَتْ قُواهَا وكادَ الخَوْفُ يُرْديها[2]

وخَبَّأَتْ دُفَّها في ثَوْبِها فَرَقًا   منْهُ وودَّتْ لو انّ الأرْضَ تَطْويها[3]

قد كانَ حِلْمُ رَسُولِ اللهِ يُؤْنِسُها   فجاءَ بَطْشُ (ابي حَفْص) يُخَشِّيها[4]

فقال مَهْبِطُ وَحْي اللهِ مُبْتَسِمًا   وفي ابتسامَتِهِ مَعْنًى يُواسيها

قد فَرَّ شَيْطانُها، لمّا رَأى عُمَرا   إنَّ الشياطينَ تَخْشَى بأسَ مُخْزِيها

(مثالٌ مِن رُجوعِهِ إلى الحقّ[5])

وفِتْيَةٍ وَلِعُوا بالرَّاحِ فانتَبَذُوا   لهمْ مَكاناً وجَدُّوا في تَعاطيها[6]

ظَهَرْتَ حائطَهُمْ لَمّا عَلِمْتَ بِهِمْ   والليلُ مُعْتَكِرُ الأرْجاءِ ساجيها[7]

حتّى تَبَيَّنْتَهُمْ والخَمْرُ قد أخَذَتْ   تَعْلُو ذُؤابَةَ ساقيها وحاسيها[8]

سَفَّهْتَ آراءَهُمْ فيها فما لَبِثُوا   أنْ أوْسَعُوكَ على ما جِئْتَ تَسْفِيها[9]

---

(١) تشجي: تطرب (٢) خارت قواها: ضعفت، وأرداه: أهلكه. (٣) الفرق: الخوف. (٤) يخشيها: يخوفها.

(٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من ان عمر تسوّر الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم، فانكروا عليه امورا ثلاثة اتاها، وهى دخوله عليهم من غير الباب، وعدم استئذانه، وتجسسه عليهم، كل هذه نهى عنها الله، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم. (٦) الراح: الخمر. (٧) ظهر الحائط: علاه. واعتكر الليل: اختلط ظلامه. والليل الساجي: الساكن الراكد الظلمة. (٨) يريد بالذؤابة أعلى الراس. والذؤابة فى الأصل: الضفيرة من الشعر. وحاسيها: شاربها. (٩) فيها، اى فى الخمر.

وَرُمْتَ تَفْقِيهَهُمْ فى دِينِهِمْ فإذا ... بالشُّرْبِ قد بَرَعُوا (الفاروق) تَفْقِيها[1]

قالوا: مَكانَكَ قد جِئْنا بواحِدَةٍ ... وجِئْتَنا بثَلاثٍ لا تُباليها

فأْتِ البُيُوتَ مِن الأبْوابِ (يا عُمَرٌ) ... فقد يُزَنُّ مِن الحِيطانِ آتِيها[2]

واستأْذِنِ الناسَ أنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمُ ... ولا تُلِمَّ بِدارٍ أو تُحَيِّيها[3]

ولا تَجَسَّسْ فهذى الآىُ قد نَزَلَتْ ... بالنَّهْى عنه فَلَمْ تَذْكُرْ نَواهِيها

فعُدْتَ عنهم وقد أكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ ... لمَّا رَأيْتَ كِتابَ الله يُمْلِيها

وما أنِفْتَ وإنْ كانوا على حَرَجٍ ... مِنْ أن يَحُجَّكَ بالآياتِ عاصِيها[4]

(عُمَرُ وشَجَرَةُ الرِّضْوان[5])

وسَرْحَةٍ فى سَماءِ السَّرْحِ قد رَفَعَتْ ... بِبَيْعَةِ المُصْطَفَى مِنْ رأسِها تِيها[6]

أزَلْتَها حِينَ غالَوْا فى الطَّوافِ بها ... وكان تَطْوَافُهُمْ للدِّينِ تَشْوِيها[7]

---

(١) الشرب: الشاربون. وبرعوا: فاقوا. (٢) نون «عمر» هنا لضرورة الوزن. وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان: الضم والنصب؛ فمن الأول:

سلام الله يا مطر عليها

من الثانى:

يا عديا لقد وقتك الأواقى

ويزن: يتهم. (٣) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها. (٤) الحرج: الإثم. وحجه يحجه: غلبه بالحجة. (٥) شجرة الرضوان: هى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية. وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية، فأمر بقطعها، فقطعت؛ وإلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية. (٦) السرحة: الشجرة الطويلة؛ أو هى من الشجر مالا شوك فيه. يقول: إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة. (٧) غالوا: بالغوا وأكثروا.

(الخاتمة)

هذِى مَناقِبُه فى عَهْد دولَتِه — للشاهدينَ وللأعْقابِ أحْكِيها

فى كلِّ واحِدةٍ منهنْ نابِلَةٌ — مِن الطبائعِ تَغْذُو نَفْسَ واعيها[1]

لَعَلَّ فى امَّةِ الإسْلامِ نابِتَةً[2] — تَجلُو لحاضِرِها مِرْآةَ ماضِيها

حتّى تَرَى بَعْضَ ما شادَتْ أوائلُها — مِن الصُّرُوحِ وما عاناهُ بانِيها

وحَسْبُها أنْ تَرَى ما كانَ مِنْ (عُمَرٍ) — حتّي يُنَبَّهَ منها عَيْنَ غافِيها[3]

---

(١) نابلة اى سجية شريفة من سجايا النبل. (٢) النابتة: الناشئون. (٣) الغافى: النائم.

١٤ـ سورية ومصر

انشدها في الحفل الذى اقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

(نشرت فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨م)

لِمِصْرَ ام لُربُوعِ الشّـأمِ تَنْتَسِبُ ... هُنا العُلاَ وهُنَاكَ المَجْدُ والحَسَبُ(١)

رُكْنانِ للشَّرْقِ لازالَتْ رُبُوعُـهُمـا ... قَلْبُ الهِلالِ عليها خافِقٌ يَجِبُ(٢)

خِدْرانِ للضَّادِ لَم تُهْتَكْ سُتُورُهُما ... ولا تَحَوَّلَ عن مَغْناهُما الأدَبُ(٣)

امُّ اللُّغـاتِ غَداةَ الفَـخْرِ أُمُّـهمُـا ... وإنْ سَـأَلْتَ عن الآباءِ فـالعَرَبُ(٤)

أَيَرْغَبانِ عن الحُسْنَى و بَيْنَهُما ... فى رائِعـاتِ المعَـالِى ذلكَ النَّسَبُ(٥)

ولا يَمُـتَّـانِ بالقُـرْبَى و بَيْنَهُـمـا ... تلكَ القَـرابةُ لَمْ يُقْطَعْ لـهاسَـبَبُ؟(٦)

إذا أَلَـمَّـتْ بِـوادِى الـنِّـيلِ نـازِلَـةٌ ... باتَتْ لها راسِياتُ الشّأمِ تَضْطَرِبُ(٧)

وإِنْ دَعَا فى ذُرَى الأهْرامِ ذُو أَلَمٍ ... أَجـابَه فى ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَـحِبُ(٨)

---

(١) اى انتسب إلى اى الأمتين شئت، فكلتاهما فى العلا والحسب سواء. (٢) وجب يجب وجبا ووجيبا: اضطرب؛ وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما. والهلال: شعار الدولة العثمانية. (٣) الضاد: كناية عن اللغة العربية. والمغنى: المنزل الذى غنى به اهله، اى اقاموا. (٤) يريد ان الأمتين تجمع بينهما امومة واحدة وهى اللغة، وأبّوة واحدة، وهم العرب. (٥) يرغبان عن الحسنى: ينصرفان عن حسن الجوار. ورائعات المعالى: ما ظهر منها ووضح. (٦) مت إليه بكذا : توسل إليه به.. (٧) المت : نزلت. وراسيات الشأم : جبالها. (٨) ذرا لبنان: مرتفعاته وأعاليه الواحدة ذروة.

لو أَخْلَصَ النِّيلُ والأردُنُّ وُدَّهما   تَصافَحَتْ منهما الأَمْواهُ والعُشُبُ[١]

بالوادِيَيْنِ تَمَشَّى الفَخْرُ مِشْيَتَه   يَحُفُّ ناحِيَتَيْه الجُودُ والدَّأَبُ[٢]

فسالَ هذا سَخاءً دونَه دِيَمٌ   وسالَ هذا مَضاءً دونَهُ القُضُبُ[٣]

نسيمَ لُبْنانَ كم جادَتْكَ عاطِرَةٌ   مِنَ الرِّياضِ وكَمْ حَيّاكَ مُنْسَكِبُ

في الشَّرْقِ والغَرْبِ أنفاسٌ مُسَعَّرَةٌ   تَهْفُو إليكَ وأكبادٌ بها لَهَبُ[٤]

لولا طِلابُ العُلا لَم يَبْتَغُوا بَدَلاً   مِنْ طِيبِ رَيّاكَ لكنَّ العُلا تَعَبُ[٥]

كَمْ غادَةٍ بِرُبُوعِ الشّامِ باكِيَةٍ   على أَليفٍ لها يَرْمِي به الطَّلَبُ[٦]

يَمْضِي ولا حِيلَةٌ إلاّ عَزِيمَتُه   ويَنْثَني وحُلاهُ المَجْدُ والذَّهَبُ[٧]

يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيالِي عنه مُنْقَلِبًا   وعَزْمُه ليسَ يَدْرِي كيفَ يَنْقَلِبُ[٨]

بِأَرْضِ (كُولُمْبَ) أَبْطالٌ غَطارِفَةٌ   أُسْدٌ جِياعٌ إذا ما وُوثِبُوا وَثَبُوا[٩]

لَم يَحْمِهِمْ عَلَمٌ فيها ولا عُدَدٌ   سِوَى مَضاءٍ تَحامَى وِرْدَهُ النُّوَبُ[١٠]

---

(١) الاردن : نهر بفلسطين معروف. والأمواه : جمع ماء. (٢) الدأب (بالتحريك) : الجد والاجتهاد. (٣) الديم من السحب: جمع ديمة، وهي الدائمة المطر. والقضب : السيوف القواطع، الواحد قضيب، فعيل بمعنى فاعل. يشير بالشطر الأول إلى وادى النيل؛ وبالشطر الثانى إلى وادى الأردن. (٤) مسعرة : ملتهبة من الشوق. وتهفو : تميل. ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم فى أنحاء الأرض طلبا للرزق. (٥) الريا : الرائحة الطيبة. (٦) الغادة : الفتاة المتثنية لينا ونعومة. «يرمى» الخ، أى يقذف به طلب الرزق فى أنحاء البلاد. (٧) يقول : إن هذا الطالب ينصب على وجهه غير مزوّد إلا بعزيمة صادقة، ويعود متحليا بحلى المجد، موفور الثراء والغنى. (٨) «يكر صرف الليالى عنه» الخ، يقول: إن نوائب الأيام ترتد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض فى سبيله لايتغير ولا يتبدّل. (٩) أرض كولمب: أمريكا أضيفت إلى مكتشفها. والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من الناس، الواحد غطريف وغطراف. ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أمريكا. وإذا ما ووثبوا وثبوا، أى إذا ما اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم. والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه. (١٠) تحامى : تتحامى، فحذف إحدى التاءين للتخفيف. ويريد بقوله : «لم يحمهم علم»: أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كليلة مهزومة.

أسطُولُهُمْ أَمَلٌ فى البَحْرِ مُرْتَحِلٌ ... وجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فى البرِّ مُغْتَرِبُ[١]

لهمْ بكُلِّ خِضَمٍّ مَسْرَبٌ نَهَجٌ ... وفى ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبُ[٢]

لَمْ تَبْدُ بارِقَةٌ فى أفْقِ مُنْتَجَعٍ ... إلاَّ وكان لها بالشامِ مُرْتَقِبُ[٣]

ما عابَهُمْ أنَّهُمْ فى الأرضِ قد نُثِرُوا ... فالشُّهْبُ مَنْثُورَةٌ مُذْ كانت الشُّهُبُ

ولَمْ يَضِرْهُمْ سُرَاءٌ فى مَناكِبِها ... فكلُّ حَيٍّ له فى الكَوْنِ مُضْطَرَبُ[٤]

رَأَدوا المَناهِلَ فى الدُّنْيا ولو وَجَدُوا ... الى المَجَرَّةِ رَكْبًا صاعدًا رَكِبُوا[٥]

أو قيلَ فى الشمسِ للراجِينَ مُنْتَجَعٌ ... مَدُّوا لها سَبَبًا فى الجوِّ وانتَدَبُوا[٦]

سَعَوْا إلى الكَسْبِ مَحْمُودًا وما فَتِئَتْ ... أمُّ اللُّغاتِ بذاكَ السَّعْىَ تَكْتَسِبُ[٧]

فأَيْنَ كان الشَّامِيُّونَ كان لها ... عَيْشٌ جَدِيدٌ وفَضْلٌ ليسَ يَحْتَجِبُ

هذِى يَدِى عن بَنِى مِصْرٍ تُصافِحُكُمْ ... فصافِحوها تُصافِحْ نَفْسَها العَرَبُ

---

(١) يقول : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق فى كل مكان. (٢) الخضم : البحر. والمسرب : الطريق. والنهج من الطرق (بتسكين الهاء) : الواضح للسلوك منها؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن. «وذرا كل طود» أى أعالى كل جبل. (٣) المنتجع : مكان الانتجاع، أى طلب الرزق. يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبىء بوجوده فى مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس اليها. (٤) السرى (مقصورا ومدّ للشعر) : السير بالليل. ومناكب الأرض : نواحيها. والمضطرب: المذهب يضطرب فيه الناس، أى يذهبون ويجيئون. (٥) رادوا : طلبوا. والمناهل : الموارد. (٦) انتدب فلان للأمر : خف إليه. (٧) يريد بقوله : «وما فتئت» الخ: أنهم ينشرون اللغة العربية حيثما حلوا؛ وفى ذلك كسب لها.

١٥- نقد الحياة الاجتماعية فى مصر

زواج الشيخ على يوسف[١]

(صاحب (المؤيد)

قالها ينعى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثبات عليه [نشرت فى سبتمبر سنة ١٩٠٤م]

وحطَمْتُ اليَـراعَ فـلا تَعْـجَـبِى ... وعـفْتُ البَـيـانَ فـلا تَعْـتُـبِى[٢]

فـمـا أنتِ يا مـصـرُ دارَ الأديب ... ولا أنـتِ بـالـبَـلَـدِ الـطَّـيِّـبِ

وكم فـيكِ يا مـصـرُ مِنْ كـاتبٍ ... أقـــالَ اليَـــراعَ ولَمْ يَكْتُبِ[٣]

فـلا تَعـذُلِينى لهـذا السُّكوت ... فقد ضـاقَ بى مِنْكِ ما ضـاقَ بى

أيُعْــجِـبُنِى منك يومَ الـوِفــاق ... سكُوتُ الجَمادِ ولَعْبُ الصَّبِى؟[٤]

---

(١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبدالخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودّة وصداقة، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية، ورضيت الفتاة وسكت الأب، فعقد العقد فى بيت البكرى من غير علم الأب، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة فى النسب ودافع الشيخ على عن نفسه، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه فى دفتر الأشراف، وقضت المحكمة بالحيولة المؤقتة بين الزوجين، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى اغسطس سنة ١٩٠٤م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أوّل اكتوبر سنة ١٩٠٤م، وكان لهذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء.

(٢) حطمت : كرت. واليراع: القلم. وعاف الشئ يعافه: كرهه. والخطاب لمصر فى هذا البيت وما يأتى بعده.

(٣) أقال اليراع: أعفاه من أن يكتب به. (٤) يشير الشاعر مبيوم الوفاق، إلى الاتفاق الذى تم بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤م، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات فى مراكش فى مقابل إطلاق يد الإنجليز فى مصر.

وكَمْ غَـضب الناسُ مِنْ قَـبْلِنا ... لسَلْبِ الحُـقـوقِ ولَمْ نَغْـضبِ

أنابِتَـةَ العَـصْـرِ إنَّ الغَـرِيب ... مُـجِـدٌ بِمـصْـرَ فـلا تَلْعَـبِى[1]

يقـولون: فـى النَّشئ خـيرٌ لنا ... ولَلْنَّشـئُ شَـــرٌ مِن الأجْنَبِى

افى (الأزْبَكيَّـةِ) مَـثْـوَى البَنِين ... وبَيْنَ المسَاجِدِ مَثْوَى الأبِ؟[2]

(وكم ذا بمصْرَ مِن المُضْحِكات) ... كما قـال فيـها (أبُو الطَّيِّب)[3]

أمُـورٌ تَمُـرُّ وعَـيْـشٌ يُـمِـرّ ... ونحن مِن اللَّهْـوِ فى مَلْعَبِ[4]

وشَـعْبٌ يَفِـرُّ من الصـالِحـات ... فِــرارَ السَّلِيم مِن الأجْـرَبِ

وصُحُـفٌ تَطِنُّ طَنِينَ الذُّباب ... وأُخْـرَى تَشِنُّ على الأقْـرَبِ[5]

وهذا يَلُوذُ بَقِـصْـرِ الأمِـيـر ... ويَدْعُــو إلى ظِلِّه الأرْحَبِ[6]

وهذا يَلُوذُ بقَـصْـرِ السَّـفِـيـر ... ويُطْنِبُ فى وِرْدِهِ الأعْـذَبِ

وهذا يَصيحُ مَعَ الصَّـائحين ... على غـيرِ قَـصْـدٍ ولا مَـأرَب

وقـالوا: دَخِيلٌ عليه العَـفـاء ... ونِعْمَ الدَّخِيلُ على مَـذْهَبِى[7]

رآنا نِيـامًـا ولَمَّـا نُفِقْ ... فَـشَـمَّـرَ للسَّعْى والمَكْسَبِ

ومـاذا عليـه إذا فـاتَنا ... ونَحْنُ على العَيْش لَم نَدْأَبِ[8]

---

(١) النابتة : الناشئون. (٢) المثوى: موضع الثواء وهو الإقامة. يريد أن الشباب فى الملاهى، والآباء فى المساجد.

(٣) يشير إلى قول أبى الطيب المتنبى من قصيدة له فى هجاء كافور :

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا.

(٤) عيش يمرّ، أى يصير مرا. (٥) طنين الذباب : صوته. وتشنّ على الأقرب : تصب عليه غارتها من كل جهة. ويريد «بالأقرب» : أبناء الوطن. (٦) الأرحب : المتسع. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر، ففريق مع الخديوى، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزى، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. (٧) يريد «بالدخيل» : الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها. والعفا : البلى والاندثار. (٨) دأب فى عمله يدأب : جدّ فيه واستمرّ عليه.

أَلِفْنا الخُـــمــــولَ وبِالَيْـــتَنا   أَلِفْنا الخُـــمـــولَ ولَم نَكْتَبِ

وقـــالوا : (المؤيَّدُ) فى غَـــمْـــرَةٍ   رَمـاهُ بهـا الطَّمَعُ الأشْـعَبى[١]

دَعـــاهُ الـغَـــرامُ بِسنِّ الكُهـــول   فـــجُنَّ جُنُونًا ببِنْت النَّبى[٢]

فـضَجَّ لهـا العَـرْشُ والحْـامِلُوه   وضَجَّ لـهـا القَـبْـرُ فى يَثْـرِبِ[٣]

ونـادَى رِجـــالٌ بإسْـــقـــاطِهِ   وقــالوا: تَلَوَّنَ فى المَشْـــرِبِ[٤]

وعَدُّوا عليه من السَّيِّئات وقـالوا   الوفـــا تَدُورُ مـع الأحْـــقُبِ[٥]

وقــالوا لَصِـيقٌ ببَيْتِ الرَّسـول   أغـــارَ على النَّسَبِ الأنْجَبِ[٦]

وزَكّى (أبـو خَطْوَةٍ) قَـــولَـهُمْ   بحُكْمٍ أحَـــدُّ مِن المَضْـــرِبِ[٧]

فـــمـــا للتَّــهـــانى على دارِهِ   تَسـاقَطُ كـالمَطَرِ الصَّـيِّبِ؟[٨]

ومـــــا للوُفُـــــودِ عـلى بـابِهِ   تَزُفُّ البِـــشـــائِرَ فى مَـــوْكِبِ؟

ومــا للخلِيــقِــةِ أسْــدَى إليــه   وِسـامًـا يَلِيقُ بَصـدْرِ الأبِى؟[٩]

فـيـا أمـةً ضَـاقَ عن وَصْـفِـهـا   جـنَـانُ المُفَـوَّهِ والأخْطَـبِ[١٠]

---

(١) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف. والغمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدّة بما أثير حوله فى قضية الزوجية. والأشعبى : نسبة إلى أشعب، وهو رجل من الموالى بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل، فقيل : «أطمع من أشعب». (٢) بسن الكهول، أى فى سن الكهول؛ ويريد «ببنت النبى» : السيدة صفية، وهى من أسرة السادة الوفائية. (٣) لها، أى لهذه الحادثة. ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. (٤) يريد «بالمشرب» : المذهب أو الطريقة؛ وهو معنى مولد. (٥) الأحقب : السنون، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما). وتدور مع الأحقب، أى تبقى على الدهر. (٦) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم. (٧) أبو خطوة، هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج. والمضرب (بكسر الراء وفتحها): السيف، والجمع مضارب. (٨) داره، أى دار الشيخ على يوسف. والصيب : المنهمر المتدفق.. (٩) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتبِ والأوسمة من الدولة العثمانية. والأبى (بتشديد الياء، وخففت الشعر): الذى لا يرضى الدنية أنفة وكبرا. (١٠) الجنان : القلب. والمفوّه: المنطيق. وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها، فبينما هى تعد على الشيخ على يوسف السيئات، وترميه بالتقلب فى الرأى، وتنكر عليه زواجه، إذا بها تتوافد على داره وتزف إليه التهانى..

تَضِـيعُ الحـقـيـقـةُ مـا بَيْنَنا   وَيَصْلَى البَـرِىءُ مع المُذْنِبِ[1]
ويُهْـضَمُ فـينا الإمـامُ الحَكِيمْ   ويُكْرَم فِـينا الجـهُـولُ الغَـبِى
على الشَّرْقِ مِنِّى سَلامُ الوَدُود   وإنْ طَأطَأَ الشَّـرْقُ للمـغْـرِبِ
لقد كان خِصْبًا بِجدْبِ الزَّمان   فـأجْدَبَ فى الزَّمَنِ المُخْصِبِ[2]

---

(١) يصلى: يعذب. (٢) يقول: لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما، فأصبح مجدبا من ذلك، إذ الزمان خصب بهما.

١٦- ثورة بركان (الأرض)

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢][١]

أَلْبَسُوكِ الدِّمَاءَ فَوْقَ الدِّمَاءِ ... وأَرَوْكِ العِداءَ بَعْدَ العِداءِ[٢]

فلَبِسْتِ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدِ قابِيـ ... لَ وشاهَدْتِ مَصْرَعَ الأَبْرِياءِ[٣]

فَلَكِ العُذْرُ إنْ قَسَوْتِ وإنْ خُنْـ ... تِ وإنْ كُنْتِ مَصْدَرًا للشَّقاءِ

غَلِطَ النَّاسُ، ما طَغَى جَبَلُ النَّا ... رِ بإِرْسالِ نَفْثَةٍ فى الهَواءِ[٤]

أَحْرَجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ ... بعضَ ما أَضْمَرَتْ مِنَ الْبُرَحَاءِ[٥]

أَسْخَطُوهَا فصابَرَتْهُمْ زَمانًا ... ثُمَّ أَنْحَتْ عليهِمُ بالجَزاءِ[٦]

أيُّها الناسُ إنْ يَكُنْ ذاك سُخْطُ الْـ ... أَرْضِ، ماذا يَكونُ سُخْطُ السَّماءِ؟

---

(١) المارتنيك، هى إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من الفوهات البركانية. ويشير الشاعر إلى الثوران البركانى الذى حدث فيها، والذى لم يشهد العالم مثله فى شدته وكثرة ضحاياه، وذلك فى ٨ مايو سنة ١٩٠٢م. (٢) البسوك : يخاطب الأرض. ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم. (٣) النجيع : الدم. وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذى قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها فى القرآن. (٤) نفثة جبل النار: ما يقذف به البركان من نيران. (٥) أمه، أى الأرض. ويريد البرحاء : نار الضغن والحقد. (٦) صابرتهم، أى طاولتهم فى الصبر. وأنحت عليهم بالجزاء: أقبلت عليهم به.

إنَّ فى علْوُ مَسْرَحًا للَمقـابـِـ ... رِ وفى الأرضِ مكْمَنًا للقَضاءِ[1]

فـاتَّقوا الأرْضَ والسَّمـاءَ سَواءً ... واتَّقوا النَّارَ فى الثَّرَى والفَضاءِ

(1) في علو أي في أعلى، وهو بسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها، يريد السماء.

١٧ـ اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت فى سنة ١٩٠٣م]

رَجَعْتُ لنفسِى فاتَّهمْتُ حَصاتِى ... وناديْتُ قَوْمِى فاحْتَسَبْتُ حَياتِى(١)

رَمَوْنِى بعُقْمٍ فى الشَّبابِ وليْتَنى ... عَقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِى(٢)

وَلَدْتُ ولمَّا لَم أَجِدْ لَعرائسى ... رِجالاً وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَناتِى(٣)

وسِعْتُ كِتابَ اللّه لَفْظًا وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آىٍ به وعِظاتِ(٤)

فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ ... وتَنْسِيقِ أسماءٍ لمُخْترَعاتِ

أنا البَحْرُ فى أَحْشائه الدُّرُّ كامِنٌ ... فهل سأَلوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتِى

فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وتَبْلَى مَحاسِنِى ... ومنكم وإنْ عَزَّ الدَّواءُ أساتِى(٥)

فلا تَكِلُونى للزَّمانِ فإنَّنى ... أَخافُ عليكمْ أنْ تَحِينَ وَفَاتِى(٦)

أَرَى لرِجالِ الغَرْبِ عِزًّا ومَنْعَةً ... وكم عَزَّ أَقْوامٌ بعِزِّ لُغاتِ(٧)

أَتَوْا أَهْلَهُمْ بالمُعْجِزاتِ تَفَنُّناً ... فيا لَيْتَكُمْ تأتونَ بالكَلِماتِ

---

(١) رجعت لنفسى، اى تأملت. والحصاة: الرأى والعقل. واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر. يقول على لسان اللغة العربية: إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى، فأسأت الظن بمقدرتى، وكدت أصدّق ما رمونى به من القصور، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعا، فادخرت حياتى عند الله. (٢) العداة: الأعداء يقول: اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى. وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم. وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها. (٣) يريد «بالعرائس» : الألفاظ المجلوة الحسنة. ووأد البنت : دفنها حية. (٤) الآى : جمع آية. (٥) الأساة : جمع الآسى، وهو الطبيب. (٦) تكلونى : تتركونى. وتحين : تحل. (٧) يقال : هو فى منعة، اى فى قوم يمنعونه ويحمونه.

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جانبِ الغَرْبِ ناعبٌ ... يُنادي بِوَأْدِي فى رَبِيعِ حَياتِي[١]

ولو تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يوما علمتُمُ ... بما تَحْتَه مِنْ عَثْرةٍ وشَتَاتِ[٢]

سَقَى اللهُ فى بَطْنِ الجَزِيرةِ أَعْظُمًا ... يَعِزُّ عليها أنْ تَلِينَ قَناتِي[٣]

حَفِظْنَ وِدادِي فى البِلَى وحَفِظْتُه ... لهن بقَلْبٍ دائمِ الحَسَراتِ

وفاخَرْتُ أَهلَ الغَرْبِ والشرقُ مُطْرِقٌ ... حَياءً بتلكَ الأعْظُمِ النَّخِراتِ[٤]

أَرَى كلَّ يومٍ بالجَرائدِ مَزْلَقًا ... مِنَ القَبْرِ يُدْنِينِى بغَيْرِ أَناةِ[٥]

وأَسْمَعُ للكُتّابِ فى مِصْرَ ضَجَّةً ... فأَعْلَمُ أنّ الصَّائحِين نُعاتِي[٦]

أَيَهْجُرُنى قَوْمِي - عفا اللهُ عَنْهُمُ ... إلى لغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بُرواةِ[٧]

سَرَتْ لُوثَةُ الافْرَنْجِ فيها سَرَى ... لُعابُ الأفاعِي فى مَسِيلِ فُراتِ[٨]

فجاءَتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الأَلْوانِ مُخْتَلِفاتِ

إلى مَعْشَرِ الكُتّابِ والجَمْعُ حافلٌ ... بَسَطْتُ رَجائي بَعْدَ بَسْطِ شَكاتِي[٩]

فإمّا حَياةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ فى البِلَى ... وتُنْبِتُ فى تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفاتِي[١٠]

وإمّا مماتٌ لا قِيامَةَ بَعْدَهُ ... مَماتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بمَماتِ

---

(١) الناعب : المصوت بما هو مستكره. وربيع الحياة: أيام الشباب والقوة. (٢) زجر الطير، هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا، وإن ولاك مياسره تطيرت منه. والعثرة: السقوط. والشتات : التفرق. يقول: لو استنبأتم الغيب بزجر الطير، كما كان يفعل العرب، لعلمتم ما يجر نفنى عليكم من السقوط والانحلال. (٣) القناة : الرمح. ولينها : كناية عن الضعف. ويريد «بالأعظم» : من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين. (٤) النخرات : البالية المتفتتة. (٥) المزلق: مكان الانزلاق، أى السقوط والزلل. والأناة : التأنى والإبطاء. ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف. (٦) النعاة : جمع ناع، وهو المخبر بالموت. (٧) لم تتصل برواة، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية. ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة. (٨) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة. ولعاب الأفاعى : سمها. والفرات : الماء العذب. (٩) الشكاة: الشكوى. (١٠) تبعث الميت : تحييه. والرموس : القبور، الواحد رمس. والرفات : كل ما تكسر وبلى؛ يريد ما بقى من الجسم بعد الموت.

١٨- تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت فى ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م]

إليكُنَّ يُهْدِى النِّيلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ   مُعَطَّرَةٍ فى أَسْطُرٍ عَطِراتِ

ويُثْنِى على أعْمالِكُنَّ مُوَكِّلِى   بإِطْراءِ أَهْلِ البِرِّ والحَسَناتِ[1]

أَقَمْتُنَّ بالأمْسِ الأساسَ مُبارَكًا   وجِئْتُنَّ يومَ الفَتْحِ مُغْتَبِطاتِ

صَنَعْتُنَّ ما يُعْيِى الرجالَ صَنِيعُهُ   فزِدْتُنَّ فى الخَيْراتِ والبَرَكاتِ

يقولون : نِصْفُ النّاسِ فى الشَّرقِ عاطِلٌ   نساءٌ قَضَيْنَ العُمْرَ فى الحُجُراتِ

وهذِى بَناتُ النِّيلِ يَعْمَلْنَ للنُّهَى   ويَغْرِسْنَ غَرْسًا دانِى الثَّمَراتِ

(١) موكلى، أى أن النيل قد أنابه عنه فى إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

١٩ـ إلى جاك رومانو المغنى اليهودى

[نشرت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨م]

إرْحَمُونا بَنِى اليَهودِ كَفاكُمْ ... ما جَمَعْتُمْ بحِذْقِكُمْ مِنْ نُقُودِ

واصفَحُوا عَنْ عُقولِنا ودَعُوا الخَلْـ ... ـقَ بسِرٍّ التَوْراةِ والتَلْمُودِ

لا تَزِيدُوا على الصُكُوكِ فخاخًا ... مِنْ غِناءٍ ما بَيْنَ دُفٍّ وعُودِ

٢٠ـ رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده(١)

[نشرت فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٠٥م]

سَلامٌ على الإسْلاَمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   سَـلامٌ على أيامِـه النَّضِـراتِ(٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا   على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَنات

لقد كنتُ أخْشَى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَه   فأصْبَحْتُ أخْشَى انْ تَطُولَ حَياتِي

فـوالَهَـفِي ـ والقَبْـرُ بَيْني وبَيْنَه   على نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَراتِ(٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرأْسِ خاشِعًا   كأنِّيَ حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفاتِ(٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَا الإمامِ فأوْدَعُوا   تجـالِيـدَه في مُـوحِشٍ بفَـلاةِ(٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأنْزَلُوا   بخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفاتِ(٦)

تَبارَكْتَ هذا الدِّينُ دِينُ مُـحمَّد   أيُتْـرَكُ فِي الدُّنيا بغَيْرِ حُماةِ؟

تَبارَكْتَ هذا عالِمُ الشَّرقِ قد قَضَى   ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَـزاتِ(٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول. (٢) النضرات: ذوات الحسن والرونق. (٣) والهفى: كلمة يتحسر بها على ما فات. (٤) حاسر الرأس: عاريه. وحيال القبر: تلقاءه وأمامه. (٥) تجاليد الإنسان: جسمه وبدنه. والفلاة: الصحراء الواسعة. (٦) ضرح الميت: حفر له ضريحا. ويريد «بالمسجدين»: المسجد الحرام بمكة، وبيت المقدس. ورفات الميت: ما بلي وتكسر من عظامه. يقول: لو أنهم حفروا بلحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض. (٧) قضى: مات. والقناة: الرمح. والقناة: كناية عن الضعف والوهن. ويريد «بالغمزات»: المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه.

زَرَعْتَ لنا زَرْعًا فأَخْرَجَ شَطْأَهُ ... بِنْتَ ولَمَّا نَجْتَنِ الثَّمَرَاتِ[1]

فواهًا له ألاَّ يُصيبَ مُوَفَّقاً ... يُشَارِفُه والأرضُ غيرُ مَوَاتِ[2]

مَدَدْنا إلى الأعْلامِ بَعْدَكَ راحَنا ... فَرُدَّتْ إلى أَعْطافِنا صَفِراتِ[3]

وجالَت بنا تبغي سِواكَ عُيُونُنا ... فعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ[4]

وآذَوْكَ في ذاتِ الإلهِ وأنْكَروا ... مَكانَكَ حتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ[5]

رأيتَ الأذَى في جانِبِ اللَّهِ لَذَّةً ... ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بشَكاةِ

لقد كنتَ فيهِمْ كَوكبًا في غَياهِبٍ ... ومَعْرِفَةً في أنْفُسٍ نَكِراتِ[6]

أبَنْتَ لنا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً ... وفَرَّقْتَ بين النُّورِ والظُّلُمَاتِ[7]

و وَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِلْمِ والحِجا ... فأطْلَعْتَ نُرًا مِن ثَلاثِ جِهاتأمَدَّكَ

وَقَفْتَ (لِهانُوتُو) و (رِينانَ) وَقْفَةً ... فِيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ[8]

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِلْمِ والحِجا ... فأطْلَعْتَ نُورًا مِن ثَلاثِ جِهاتِ

---

(١)شطء الزرع: فراخه فراخه أو سنبلة. وكنى بالزرع: عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح. وبنت: بعدت.
(٢) الضمير في «له» يرجع إلى الزرع. ويشارفه: يشرف عليه. والأرض الموات: الجدبة التي لا تنبت. يخشى الا يجد الزرع. ويشارفه: يشرف عليه. والارض الموات: الجدبة التي لا تنبت. يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها. (٣) يريد «بالاعلام»: المشهورين من العلماء. والراح: جمع راحة، وهي الكف. والأعطاف: الخواطر. وصفرات، اى خاليات. (٤) شرقات، اى محمرات من البكاء. (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيد اليه، وينشرونها في بعض الصحف تشهيرا به، وتحقيرا من شأنه. (٦) الغياهب: الظلمات. (٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن. (٨) هانوتو: هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرخ الفرنسي. ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣م، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام ورينان، هو أرنست رينان الفرنسي، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣م، وقد قسا كاثوليكيا؛ وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما. وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢م. والروح: جبريل.

وَقَفْتَ (لِهانُوتُو) و (رِينانَ) وَقْفَةً ... أَمَدَّكَ فِيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ[1]

مَــلاذَ عَــيــايِلٍ ثِمــالَ أَرامِلٍ ... غِيـاثَ ذَوِى عُدْمٍ إمـامَ هُداةِ[2]

فلا تَنْصِبُوا للناس تِمثالَ (عَبْدِهِ) ... وإنْ كـانَ ذِكْرَى حِكْمَـةٍ وثَبـاتِ

فإنِّى لأَخْشَى أنْ يَضِلُّوا فيُومِنوا ... الى نُورِ هذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ[3]

فياوَيْحَ للشُّورَى إذا جَدَّ جِدُّها ... وطاشَتْ بها الآراءُ مُشْتَجِرَاتِ[4]

ويا وَيْحَ لِلفُتْيَا إذا قِيلَ مَنْ لَها؟ ... ويا وَيْحَ للخَيْراتِ والصَّدَقاتِ

بَكَيْنَا على فَــرْدٍ وإنَّ بُكاءَنا ... على أنفُسٍ لِلّهِ مُنْقَطِعــاتِ

تَعَهَّدَها فَضْلُ الإمامِ وَحاطَها ... بإحْسانِه والدَّهرُ غيرُ مُواتِى[5]

فيا مَنْزِلاً فى (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنى ... وأَرْغَمَ حُسَّادِى وغَمَّ عُداتِى[6]

دَعائِمُه التَّقْوَى وآساسُه الهُدَى ... وفيه الأيادِى مَوْضِعُ اللَّبِناتِ[7]

عليكَ سَلامُ اللّهِ، مالَكَ مُوحِشًا ... عَبُوسَ المَغانِى مُقْفِرَ العَرَصاتِ[8]

---

(١) هانوتو: هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى. ولد فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣م، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام ورينان، هو ارنست رينان الفرنسى، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣م، وقد كان قسا كاثوليكيا؛ وهو مش٠هور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما. وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢م. والروح : جبريل. (٢) الملاذ (بالفتح).الملجأ. وعيايل: جمع عيل (بتشديد الياء). وعيل الرجل: من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم. وثمال الأرامل: من يقوم بأمرهن ويعينهن. والغياث: المغيث والمعين. والعدم: الفقر. (٣) يومنوا: يشيروا وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام. (٤) يريد «بالشورى» مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به. وطاشت: انحرفت عن القصد. ومشتجرات: مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل. (٥) حاطها: صانها وحفظها. والمواتى: الموافق المساعد. (٦) عين شمس: ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة، وكان فيها بيت الفقيد. (٧) دعائم البيت: عمده. والأيادى: النعم. واللبنات: ما يضرب من الطين للبناء؛ الواحدة لبنة.. (٨) الموحش: الخالى الذى ليس به ساكن. ومغانيه: منازله التى كان ينزل بها ساكنوه؛ الواحد مغنى. وعرصاته: ساحاته.

لقد كنتَ مَقْصُودَ الجَوانب آهِلاً   تَطُوف بِكَ الآمالُ مُبْتَهِلاتِ[1]

مَثَابةَ أَرْزاقٍ، ومَهْبِطَ حِكْمَةٍ   ومَطْلَعَ أَنْوارٍ، وكَنْزَ عِظاتِ[2]

(١) منزل آهل: عامر بأهله. ومبتهلات: داعية متضرعة. (٢) المثابة: المرجع. أى إن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت فى طلب أرزاقهم.

٢١- رثاء مصطفى كامل باشا[١]

[نشرت في ١٢ فبراير ١٩٠٨]

أيا قَبْرُ هَذا الضَّيْفُ آمالُ أمَّةٍ — فَكَبِّرْ وهَلِّلْ والْقَ ضَيْفَكَ جاثِيًا[١]

عزيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) — شَهِيدَ العُلاَ في زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا[٢]

أيا قَبْـرُ لو أنَا فَقَدْناهُ وَحْدَه — لَكانَ التأسِّي مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا[٣]

ولكنْ فَقَدْنا كلَّ شَيءٍ بفَقْدِهِ — وهَيْهَاتَ أنْ يَأتِي به الدَّهْرُ ثانيا

فيا سائِلِي أَيْنَ المُروءةُ والوفَا — وأينَ الحِجَا والرَّأْيُ؟ وَيْحَكَ هاهِيا

هَنِيئًا لهمْ فلْيَأْمَنُوا كلَّ صائِحٍ — فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كان عَالِيا[٤]

وماتَ الذَّى أَحْيا الشُّعُورَ وساقَه — إلى المَجْدِ فاسْتَحْيَا النُّفوسَ البَوالِيا[٥]

مَدَحْتُكَ لمَّا كُنْتَ حَيًّا فلَمْ أُجِدْ — وإنِّى أُجِيدُ اليومَ فيكَ المَرَاثِيا

---

(١) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ اغسطس سنة ١٨٧٤م. وبعد ان نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد، ثم ذهب إلى فرنسا، ومنها أخذ شهادة الحقوق، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥م. وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه إلى رئيس مجلس النوّاب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥م، ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر، إلى ان توفى فى سنة ١٩٠٨م بعد ان ألف الحزب الوطنى. (٢) جثا الرجل يجثو: جلس على ركبتيه؛ والمراد هنا: الخضوع. (٣) الذاوى : الذابل. (٤) التأسى : اقتداؤك بمن سواك فى الصبر على المصائب. وجوى الحزن: حرقته الضمير فى «لهم» : للإنجليز. (٥) استحيا، أى أحيا. والاستحياء (لغة): الاستبقاء: يقال: استحيا فلان فلانا، إذا أبقاه حيا.

عليكَ، وإلاَّ ما لِذا الحُزْنِ شاملاً … وفيكَ، وإلاَّ ما لِذا الشَّعْبِ باكِيا(١)

يَمُـوتُ المُداوِى للنُّفُـوسِ ولا يَرَى … لِما فيه مِنْ داءِ النُّفُوسِ مُداوِيا

وكنَّا نِيامًا حينمَا كنتَ ساهِدًا … فأَسْهَدْتَنا حُزْناً وأَمْسَيْتَ غافِيا(٢)

شَهِيدَ العُلاَ، لا زَال صَوْتُكَ بَيْنَنَا … يَرِنُّ كما قَدْ كانَ بالأَمْسِ داوِيًا(٣)

يُهِـيبُ بنا: هَذا بناءٌ أَقَمْتُه … فلا تَهْدِمُوا باللَّهِ ما كُنْتُ بانِيا(٤)

يَصِيحُ بِنا: لا تُشْعِرُوا الناسَ أَنَّنِى … قَضَيْتُ وأَنَّ الحَىَّ قد باتَ خالِيا(٥)

يُناشِدُنا باللَّهِ أَلاَّ تَفَرَّقُوا … وكُونوا رِجالاً لا تَسُرُّوا الأعادِيا

فُروحِى من هَذا المَقامِ مُطِلَّةٌ … تُشَارِفُكُمْ عَنِّى وإِنْ كنتُ بالِيا(٦)

فَلاَ تَحْزُنُوها بالخِلافِ فإِنَّنِى … أَخافُ عليكمْ فى الخِلافِ الدَّواهِيا

أَجَلْ، أَيُّها الداعى الى الخَيْرِ إِنَّنا … على العَهْدِ ما دُمْنا فنَمْ أنتَ هانِيا(٧)

بناؤُك مَحْفُوظٌ، وطَيْفُكَ ماثِلٌ … وصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وإنْ كنتَ نائِيا

عهِدْناكَ لا تَبْكِى وتُنْكِرُ أَنْ يُرَى … أَخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ باكِيا

فَرَخِّص لنا اليومَ البُكاء وفى غَدٍ … تَرانَا كما تَهوىَ جِبالاً رَواسِيا(٨)

فيا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفاتِه … دَمًا أَحْمَرًا لا كنتَ يا نِيلُ جارِيا

ويا (مِصْرُ) إِنْ لم تَحْفَظِى ذِكْرَ عَهْدِه … إِلى الحَشْرِ لا زالَ انحِلالُكِ باقِيا

---

(١) عليك، أى عليك الحزن. وفيك، أى فيك البكاء. (٢) الساهد: الساهر والغافى. النائم. (٣) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه: مدوّ. وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع فى كلام اهل العصر. (٤) أهاب به: صاح به ودعاه. (٥) قضى : مات. (٦) شارفه: نظر إليه من علو.. (٧) أجل، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم». (٨) الذى وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصة فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه. ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت، إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء. والرواسى: الرواسخ.

ويأهْلَ (مِصْرٍ) إنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ ثِقُوا أنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاوِيا
ثلاثُون عــامــا بل ثلاثُون دُرَّةً بجِيدِ اللَّيالي ساطِعاتٍ زَواهيا[1]
ستَشْهدُ فى التاريخ أنكَ لَم تَكُنْ فَتًى مُفرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازيا[2]

(١) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنتين وثلاثين سنة، والثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى. (٢) تشهد، أى الثلاثون عاما..

٢٢ـ رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧م

إيهِ يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابَا ... كيف يَنْصَبُّ فى النُّفُوسِ انصبابا؟

بَلِّغ المَشْرِقَيْن قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّبح ... أنَّ الرئيسَ وَلَّى وغَاباَ(١)

وَانْعَ للنَّيِّراتِ (سَعْدًا) فَـ (سَعْدٌ) ... كان أَمْضَى فى الأرضِ منها شِهابا

قُدَّيا لَيلُ مِنْ سَوادِكَ ثَوْبًا ... للدَّرارِى وللضُّحَى جِلْبابا(٢)

أنسجِ الحالِكاتِ مِنكَ نِقاباً ... واحبُ شمسَ النَّهارِ ذاكَ النِّقابا(٣)

قُل لَها: غابَ كوكبُ الارْضِ فى الأر ... ضِ فغِيبِى عن السَّماءِ احتجابا

والبَسِينى عليه ثَوْبَ حِدادٍ ... واجلِسى للعَزاءِ فالحُزْنُ طاباَ

أين (سَعْدٌ)؟ فذاكَ أوَّلُ حَفْلٍ ... غابَ عَنْ صَدْرِه وعافَ الخِطابا(٤)

لَم يُعَوِّدْ جُنودَه يومَ خَطْبٍ ... أنْ يُنادَى فلا يَرُدُّ الجَوابا

عَلَّ أَمْرًا قد عاقَه، عَلَّ سُقْمًا ... قد عَراهُ، لقد أطالَ الغِيابا(٥)

أَىْ جُنُودَ الرئيسِ نادُوا جِهارًا ... فإذا لَمْ يُجِبْ فشُقُّوا الثِّيابا

---

(١) انبلاج الصبح : إشراقه. (٢) قدّ : اقطع. والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر): (٣) يقال: حباه كذا ويكذا يحبوه، إذا أعطاه إياه.. (٤) عاف الشىء:كرهه وزهد فيه. (٥) عراه: أصابه.

إنَّهـا النَّكْبَـةُ الّتى كنتُ أَخْـشَى   إنهـا السـاعـةُ التى كنتُ آبى(١)

إنَّهـا اللَّفظةُ الّتى تَنْسِفُ الأَنْـ   ـفُسَ نَسْـفًـا وتَفْقُـرُ الأصْـلابا(٢)

مـاتَ (سَعْدٌ)، لا كنتِ يا (مـاتَ سَعْدٌ)   أسـهـامًـا مَـسْـمُـومَـةً أمْ حِرابا

كيف أَقْصَدْتِ كلَّ حَيٍّ على الأرْ   ضِ وأَحْدَثْتِ فى الوُجُودِ انقلابا؟(٣)

حَـسْـرَةٌ عند أَنَّـةٍ عن آهٍ   تحتَـهـا زَفْـرَةٌ تُذِيبُ الصِّـلابا(٤)

قُلْ لِمَنْ بـات فى (فِلِسْطِينَ) يَبْكِى   إنَّ زِلزْالنا أَجَلُّ مُـصَـابا(٥)

---

(١) ابى، اى اكره. (٢) يريد باللفظة: (مات سعد) الواردة فى البيت التالى والأصلاب: عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل إلى العجب. وتفقرها، اى تصيب هذه الفقار فتكسرها. (٣) اقصده : أصاب مقتله. (٤) الصلاب، اى الحجارة الصلبة. (٥) يشير إلى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧م، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية، فدمر كثيرا من الدور، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه

٢٣ـ رثاء الدكتور يعقوب صروف

أنشدها فى الحفل الذى اقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨م

أَبْكي وعَيْنُ الشُّرْقِ تبْكى مَعِي　　على الأريبِ الكاتِبِ الألْمَـعى[١]

جَـرَى عَـصِيُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِه　　فـزادَ فـى الجُـودِ على الطَّيِّع[٢]

نَقْصٌ من الشُّـــرْقِ ومِنْ زَهْوِه　　فَقْدُ اليَراعِ المُعْجِـزِ المُبْدِعِ[٣]

ليس لِمِــصْــرٍ فى رِجـالاتِهـا　　حَظٌّ ولا للشـــامِ فى أَرْوَعِ[٤]

مُصابُ (صَرُّوف) مُصابُ النُّهَى　　فلْيَبْكِه كل فـــؤادٍ يَعي[٥]

كُــرِّم بالأمْسِ وأكْـــفــانُه　　تَنْسُجُـهـا الأقْدارُ للمَصْرَعِ[٦]

يا صــائِغَ الدُّرِّ لِتَكْرِيمِـــه　　صُــغْــه لِمَنْعـاهُ مِن الأدْمُعِ

قــد زَيَّنَ العِلْمَ بِأَخْــلاقِـــه　　فــعـاشَ مِلْءَ العَـيْنِ والمِسْمعِ

تَواضُـعُ والكِبْـــر دَأبُ الفَـتَى　　خَـــلاً مِنَ الفَــضْلِ فلَمْ يَنْفَعِ

تَـواضُـعُ الـعِلْمِ لـه رَوْعَـــةٌ　　يَنْهَـار منهـا صَلَفُ المُدَّعِي[٧]

---

(١) الاريب: العاقل. والالمعى: الذكى المتوقد. (٢) يريد «بعصى المع»: الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب عزة وانفة من البكاء. (٣) الزهو : الكبر والفخر. (٤) الاروع : الشهم الذكى الفؤاد. (٥) يعى : يحفظ. (٦) يشير بقوله «كرم بالامس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى اقيم فى سنة ١٩٢٧م، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان.. (٧) الصلف : الكبر.

وحُلَّةُ الفَــضْلِ لهــا شــارَةٌ	أَزْهَى مِن السَّـيـفَـيْنِ والمِدفَع
يُشْبِعُ مَـنْ حَـصَّلَ مِنْ عِلْمِـهِ	وهو مِنَ التَّـحصِيلِ لَمْ يَشْبَع
مُـبَكِّرٌ تَحْـسَـبُـهُ طالِبًـا	يُسـابِقُ الفَـجْـرَ إلى المطْلَعَ
قـد غـالَت الأسْـقـامُ أَضْـلاعَـه	والرأْسُ فـى شُـغْلٍ عن الأَضْلُع
مـــاتَ وفـى أَنْمُلِـه صــارِمٌ	لَم يَنْبُ فـى الضَّرْبِ عن المَقْطَع[1]
صـاحَبَـه خَـمْسينَ عـامًـا فلَمْ	يَخُنْ له عَـهْـدًا ولَمْ يَخْـدَع
مـوَفَّـقًـا أَنَّى جَـرَى مُلْهَـمًـا	مـا ضَلَ فى الوِرْدِ عن المَشْـرَعِ[2]
لَم يَبْـرِه بـارٍ سِــوَى رَبِّه	ولَم يَحُـزْهُ جـاهلٌ أو دَعى[3]
فى النَّقْلِ والتَّصْنِيف أَرْبَى على	مَدَى (ابنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأصْمَعِى)[4]

---

(١) شبه القلم بالصارم، وهو السيف. ونبا السيف عن الضريبة ينبو: كل وارتدّعنها. (٢) المشرع: المورد الذى يستقى منه. (٣) خفف الياء فى «دعى» لضرورة القافية. (٤) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من امهر العلماء فى هذا الباب. وابن بحر، وهو أبو عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٢٥٥ هـ . ولد بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام، ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام. والأصمعى، هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وساكنهم، وكان من ندماء الخليفة الرشيد؛ وتوفى فى سنة ٢١٦هـ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة.

٢٤ ـ أضرحة الأولياء

أَحْـيـاؤُنا لا يُرْزَقُـونَ بدِرْهَمٍ وبـألْـفِ أَلْفٍ تُـرْزَقُ الأمْـواتُ

مَنْ لـى بَحظِّ النائمين بحُـفْـرَةٍ قـامَتْ على أَحْجَارِها الصلَوَاتُ

يَسْعَى الأنامُ لها، ويَجْرِى حَوْلَها بَحْـرُ النُّذُورِ، وتُقْـرَأ الآياتُ

ويُقـالُ: هذا القُطْبُ بابُ المُصْطَفَى ووَسِيلَةٌ تُقْضَى بها الحاجاتُ

٢٥ ـ غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة
التى ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها وبين روسيا
[نشرت فى ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّى إذا السَّيْفُ نَبَا ... صَحَّ مِنِّى العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى[١]
رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ فى سَعْيِه ... أَخْطَأَ التَّوفيقَ فيما طَلَبا
مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونى إذا ... كانت العَلْياءُ فيه السَّبَبَا[٢]
عَقَّنِى الدَّهْرُ ولولا أنَّنى ... أوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأدَبا[٣]
إيهِ يا دُنْيا اعْبِسى أو فابسِمِى ... لا أَرَى بَرْقَكِ إلاّ خُلَّبا[٤]
أَنا لولا أنّ لِى مِنْ أُمّتى ... خاذِلاً ما بِتُّ أَشْكو النُّوَبا
أُمّةٌ قد فَتَّ فى ساعِدِها ... بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبا[٥]
تَعْشَقُ الأَلْقابَ فى غَيْرِ العُلا ... وتُفَدِّى بالنُّفُوسِ الرُّتَبا
وهى والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها ... تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبَا [٦]

---

(١) نبا السيف: كل وأرتدّ. (٢) يبلونى: يختبرنى. (٣) عقه: ترك الاحسان اليه ولم يبريه. يقول: إن الدهر لم ينصفنى، والجانى علىّ هو أدبى؛ ولولا أننى أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذى كان سببا فى شقائى. (٤) البرق الخلب: الذى يطمع الناس فى مطره وزخلفهم. (٥) فت فى ساعدها: عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى. (٦) والأحداث تستهدفها، أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه.

لا تُبـالي لَعِبَ القَـوْمُ بهـا	أمْ بها صَرْفُ اللَّيالِي لَعِبا [1]
لَيْـتَـهـا تَسْـمَعُ مِنِّى قِصـَّةً	ذاتَ شَجْوٍ وحَديثاً عَجَبَا [2]
كنتُ أَهْوَى فى زَمـانى غـادَةً	وَهَبَ اللهُ لهـا مـا وَهَبـا [3]
ذاتَ وَجْـهٍ مَـزَجَ الحُـسْنُ بِه	صُفْرَةً تُنْسِى اليَـهُودَ الذَّهَبا
حَـمَلَتْ لى ذاتَ يومٍ نَبـأً	لا رَعـاكَ اللهُ يا ذاكَ النبَـا
وأتَتْ تخْطِرُ والليلُ فَـتًى	وهِلالُ الأفْقِ فى الأفْقِ حَبـاَ [4]
ثمَّ قـالت لى بثَـغْـرٍ باسِمٍ	نَظَمَ الدُّرَّبه والحَـبَـبـا [5]:
نَبَّـئُـونى برَحِـيلٍ عـاجِلٍ	لا أرَى لى بَعْـدَه مُنْقَلَبـا [6]
ودَعـانى مَـوْطِنى أنْ أغـتَدِى	علَّنِى أقْضِى له ما وَجَبـا [7]
نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْـرِى جِلْدَه	أَيَظُنُّ الدُّبُّ ألاّ يُغْلَبـا [8]
قلتُ والآلامُ تَفْـرِى مُـهْـجَـتِى	وَيْك! ما تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظِّبا؟ [9]
مـا عَـهِدْناها لظَبْىٍ مَسْرَحًا	يَبْـتَـغِى مَلْهًى به أو مَلْعَبـا
لَيْست الحَرْبُ نُفوسا تُشْتَرى	بالتَّمَنِّى أو عُقولاً تُسْتَبَى [10]

---

١) يريد «بالقوم»: الانجليز. وصروف الليالى: غيرها ونوائبها. أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر . (٢) يقال : شجاه شجوا، اذا هيج أحزانه وشوّقه. (٣) الغادة . المرأة الناعمة اللينة. (٤) والليل فتى، أى فى أوله. وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده. (٥) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان فى بياضها. (٦) المنقلب: العودة والرجوع. (٧) أغتدى، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه. (٨) الدب: رمز تعرف به روسيا، كما تعرف انجلترا بالأسد، واليابان بالتنين، وألمانيا بالنسر. ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤م وأنتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥م. (٩) الظبا الظباء، وقصر للشعر. (١٠) تستبى : تؤسر بالحب

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدتِها   أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبا؟ (١)

فسَلِينى، إنَّنى مارَسْتُها   ورَكِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبا (٢)

وتَقَحَّمْتُ الردَّىَ فى غارَةٍ   أسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا (٣)

قَطَّبَتْ مابين عَيْنيْهَا لَنا   فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبا (٤)

جالَ عِزْرائيلُ فى أنْحَائِها   تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يمَشْى الهَيْذَبَى (٥)

فدَعِيها للّذى يَعْرِفُها   والْزَمِى ياظبْيَةَ البانِ الخِبا (٦)

فأجابَتْنِى بصَوْتٍ راعَنِى   وأرَتْنى الظَّبْىَ لَيْثًا أغْلَبا (٧)

إنَّ قَوْمِى استَعْذَبوا وِرْدَ الرَّدَى   كيف تَدْعُونِىَ ألاَّ أشْرَبا؟

أنا يابانِيَّةٌ لا أنْثَنِى   عَنْ مُرادِى أو أذُوقَ العَطَبا (٨)

أنا إنْ لَم أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَم   تَسْتَطِعْ كَفَّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

أَخْدُمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ   وأُواسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١٠)

هكذا (المِيكادُ) قد عَلَّمَنا   أن نَرَى الأوْطانَ أُمًّا وأبَا (١١)

---

(١) القدّ : القامة . والشبا . جمع شباة، وهى حدّ السنان. (٢) مارستها: عانيتها . (٣) تقحمت الردى: رميت بنفسى فى غمرته والنقع: الغبار. والهيدب: السحاب المتدلى من أسافله. وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب، كناية عن شدتها وكثرة الكرّ والفرّ فيها . (٤) التقطيب: العبوس. والضمير فى «قطبت» للغارة (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة): نوع من المشى فيه جدّ. ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب. (٦) البان: شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، تألفه الظباء. والخبا (بالقصر): الخباء (بالمد)، وقصر للشعر. وهو فى الأصل: بيت من وبر أو صوف، ويريد به البيت عامة. (٧) راعنى: أفزعنى. والأغلب من السباع: الغليظ الرقبة، وهى علامة للقوة. يقول: إنها غضبت من تنقصه لها، وإنها لا تصلح للحرب، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى (٨) العطب: الهلاك (٩) الظبا: جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدّ السيف أو السنان.. (١٠) الوغى: الحرب، لما فيها من الصوت والجلبة. (١١) الميكادو: لقب ملك اليابان

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنَّه ... أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه ... حُوَّلاً في كلِّ أمْرٍ قُلَّبا[١]

كان والتاج صغيرَيْنِ مَعًا ... وجَلالُ المُلْكِ في مَهْدِ الصِّبا

فغدًا هذا سَماءً للعُلا ... وغدا ذلِكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأمةَ مِنْ مَرْقَدِها ... ودَعَاها للعُلا أَنْ تَدْأَبا[٢]

فسَمَتْ للمَجدِ تَبْغِي شَأْوَه ... وقَضَتْ مِن كل شيءٍ مَأْرَبا[٣]

---

(١) الحوّل: الشديد الاحتيال، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى. والقلب: البصير بتقلب الأمور.

(٢) تدأب: تجدّ في طلبها . (٢)الشأو: الغاية.

٢٦ ـ حادثة دنشواى[١]

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦م]

أيُّهـا القـائمُـونَ بالأمْـرِ فـينا ... هَلْ نَسِـيـتُمْ وَلاءَنَا والوِدادَا[٢]

خَفِّضُوا جَيْشَكُمْ ونَامُوا هَنِيئا ... وابتَغُوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا[٣]

وإذا أعْـــوَزَتْكُمُ ذاتُ طَوْقٍ ... بين تلْك الرُّبَا فصِيدُوا العِبادا[٤]

إنّمـا نَحْنُ والحَـمـامُ سَـواءٌ ... لَمْ تُغـادِرْ أطْواقُنا الأجْـيـادا[٥]

لا تَظُنُّوا بِنا العُـقـوقَ ولكنْ ... أرْشِـدُونا إذا ضَلَلْنْا الرَّشـادا

لا تُقِـيـدُوا منْ أمـةٍ بقَـتـيلٍ ... صادَت الشمسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادا[٦]

جـاءَ جُـهّـالُنا بأمْـرٍ وجِـئْـتُمْ ... ضِعْفَ ضِعْفَيْه قَسْوَةً وآشتِدادا

---

(١) فى يوم الاربعاء ١٣ يونية سنة ١٩٠٦م، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا، لصيد الحمام، وهناك أصيبِ بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين، وجلد وحبس ثمانية منهم. ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة (٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز. (٣) جاب البلاد: قطعها. (٤) ذات الطوق: الحمامة المطوقة، لأن لها طوقا حول عنقها، وهو لون يخالف سائر لونها. (٥) يريد «بالأطواق» فى هذا البيت: أغلال الأسر والاستعباد. والأجياد: الأعناق؛ الواحد جيد. (٦) يقال: أقاد الأمير القاتل بالقتيل، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس، لا بإصابة أحد.

أَحْسنُوا القَتْلَ إن ضنِنْتُمْ بِعَفْوٍ ... أَقِـصَـاصـاً أَرَدْتُمُ أَمْ كِـيـادَا؟

أَحْسنُوا القَتْلَ إن ضنِنْتُم بِعَفْوٍ ... أَنُفُـوسـاً أَصَـبْـتُمُ أَمْ جَـمـادَا؟

لَيْتَ شِعْرِى أتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ ... ـتِيش) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نيرُونَ) عادَا؟[1]

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِىِّ التَّشَفِّى ... مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليه القِيادَا؟

إنَّهـا مُـثْلَةٌ تُشِفُّ عن الغَـيْـ ... ـظِ ولَسْنا لغَـيْظِكُمْ أَنْدادا[2]

أكْـرِمُـونا بِأَرْضِنا حـيثُ كُنْتُمْ ... إنَّمـا يُكْرِمُ الجَـوادُ الجَـوادا

إنَ عِشْرِينَ حِجَّةً بعدَ خَمْسٍ ... عَلَّمَتْنَا السكُونَ مَهْمَا تَمادىَ[3]

أمَّـةُ النِّيلِ أَكْـبَـرَتْ أَنْ تُعـادِى ... مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أنْ تُعادَى[4]

ليس فِـيـهـا إلاَّ كَـلامٌ وإلاَّ ... حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَةٍ تَتَهـادَى

* * *

أيُّهَـا المُدَّعِى العُمُـومِىُّ مَـهْـلاً ... بعضَ هذا فـقـد بَلَغْتَ المُرادَا[5]

قـد ضَـمِنَّا لك القَضَـاءَ بِمِصْرٍ ... وضَمِنَّا لَنجْلِكَ الإسعـادا[6]

فـإذا مـا جَلَسْتَ للحُكْم فـاذكُرْ ... عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤَادَا

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى أسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر إلى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى.(٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز فى هذه الحادثة.

لا جَرى النِّيلُ فى نَواحِيك يا (مِصـ ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا حيثُ جادا
أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِـصْـ ـرُ)فأضْحَى عليكِ شَوْكًا قَتادا
أنتِ أنْبَتِّ ناعِـقـاً قـامَ بالأمـ ـسِ فأدمَى القُلوبَ والأكْبادَا[1]
إيهِ يا مِـدْرَهَ القَـضـاءِ ويا مَنْ سادَ فى غَفْلَةِ الزمان وَشَادَا[2]
أنتَ جَــلاّدُنا فــلا تَنْسَ أنّا قـد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِـدادَا

(١) يريد «بالناعق»: المدعى العمومى فى هذه القضية. والنعيق والنغيق : صياح الغراب. (٢)المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم.

٢٧ـ استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى[١]

[نشرت فى ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦]

(قَصْرَ الدُّوبارَةِ) هل أتاكَ حَديثُنا	فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ[٢]
أهْلاً بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَباً	بعدَ التَّحِيَّةِ إنَّنى أتَعَتَّبُ[٣]
نَقَلَتْ لنا الأسْلاكُ عنكَ رِسالةً	باتتْ لها أحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ
ماذا أقولُ وأنتَ أصْدَقُ ناقِلٍ	عنَّا ولكنَّ السِّياسةَ تَكْذِبُ[٤]
عَلَّمْتَنا مَعْنَى الحَياة فما لَنا	لا نَشْرَئِبُّ لها وما لَكَ تَغْضَبُ[٥]
أنَقِمْتَ مِنَّا أنْ نُحِسَّ؟ وإنَّما	هذا الذى تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ[٦]
أنتَ الذى يُعْزَى إليه صَلاحُنا	فيما تُقَرِّرُه لدَيْكَ وتَكْتُبُ[٧]

---

(١) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية على القصيدة السابقة) (٢) ريع (بالبناء للمجهول): من الروع، وهو الفزع. يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه. (٣) التعتب، هو تواصف الموجدة، ومخاطبة المدلين إخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض (٤) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية، وفيها يطعن عن المصريين ويصفهم بأنهم لا يرعون جميلا. (٥) نشرئب لها: نتطلع إليها. والاشرئباب (فى الأصل): مدّ العنق للنظر (٦) ندبه إلى الأمر: دعاه إليه. (٧) يعزى: ينسب: يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر

إنْ ضاقَ صَدْرُ النِّيلِ عمَّا هالَه ... يومَ الحَمامِ فإنَّ صَدْرَكَ أرْحَبُ[١]

أوَ كُلَّما باحَ الحَزِينُ بأنَّةٍ ... أمْسَتْ إلى مَعْنَى التعَصُّبِ تُنْسَبُ[٢]

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأمةٍ ... ضاقَ الرَّجاءُ بها وضاقَ المَذْهَبُ [٣]

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأمةٍ ... لَيْستْ بغَيرْ وَلائِها تَتَعَذَّبُ

إنْ أرْهَقُوا صَيَّادَكُمْ فلَعَلَّهم ... للقُوتِ لا للمُسلمِين تَعَصَّبوا[٤]

ولرُبَّما ضَنَّ الفَقِيرُ بقُوتِهِ ... وسَخَا بمُهجَتِهِ علي مَنْ يَغصِبُ[٥]

فى (دِنْشِوايَ وأنتَ عنَّا غائبُ ... لَعِبَ القَضاءُ بنا وعَزَّ المَهْرَبُ

حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً ... فتَسابقُوا فى صَيْدِهِنَّ وصَوَّبوا[٦]

نُكِبُوا وأقْفَرتِ المَنازِلُ بَعْدَهُمْ ... لو كنتَ حاضِرَ أمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُمْ والقاسِطُون بمَرْصَدٍ ... وسِياطُهُمْ وحِبالُهمُ تَتَأهَّبُ [٧]

جُلِدُوا ولو مَنَّيْتَهُمْ لتَعَلَّقُوا ... بحِبالِ مَنْ شُنِقُوا ولم يَتَهَيَّبُوا[٨]

---

(١) يوم الحمام، اى يوم صيد الحمام الذى سبب حداثة دانشوى المعروفة (٢) الأنة: من الأنين، وهو التأوّه ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى، وإن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى (٣) عميد الدولتين، اى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية (٤) ارهقوا صيادكم: أعتدوا عليه وآذوه. ويريد «بالصياد»: أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك. (٥)ضن: بخل. وسخا بمهجته... إلخ ، اى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه. ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك (٦) يقال: صوب السهم نحو الرامية (بتشديد الياء)، إذا سدده (٧) القاسطون: الظالمون الجائرون عن الحق قال الله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا). والمرصد: المرقب (٨) منيتهم، اى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب

شُنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيارَ لأهلّوا ... بلَظى سِياط الجالدِينَ ورَحَّبوا[1]

يَتَحاسَدُونَ على المَمات، وكأسُه ... بَيْنَ الشِّفاه وطَعْمُهُ لا يَعْذُبُ

مَوْتان: هذا عاجِلٌ مُتَنَمِّرٌ ... يَرْنُو، وهذا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ[2]

والمُسْتَشارُ مُكاثِرٌ بِرِجالِه ... ومُعاجِزٌ ومُناجِزٌ ومُحَزِّبُ[3]

يَخْتالُ فى أَنحائِها مُتَبَسِّمًا ... والدَّمْعُ حَوْلَ رِكابِه يَتَصَبَّبُ

طاحُوا بأَرْبَعَةٍ فأَرْدَوْا خامِسًا ... هُوَ خَيْرُ ما يَرجُو العَميدُ و يَطْلُبُ[4]

حُبٌّ يُحاوِلُ غَرْسَه فى أَنْفُسٍ ... يُجْنَى بِمَغْرِسِها الثَّناءُ الطَّيِّبُ

كنْ كَيْفَ شِئْتَ ولا تَكِلْ أَرواحنا ... للمُسْتَشارِ فإنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ

وأَفِضْ على (بُنْد) إذا وَلِىَ القَضا ... رِفْقًا يَهَشُّ له القَضاءُ ويَطْرَبُ

قد كان حَوْلَكَ مِنْ رِجالِكَ نُخْبَةٌ ... ساسُوا الأُمورَ فدَرَّبُوا وتَدَرَّبُوا

أَقْصَيْتَهُم عنَّا وجِئتَ بِفِتْيَةٍ ... طاشَ الشَّبابُ بِهِمْ وَطارَ المَنصِبُ[5]

---

(١) أهلوا ورحبوا، أى قالوا: أهلا ومرحبا. ومعنى البيتين: إن كل ممن جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدة ماتمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه واللظى: النار؛ وقيل: لهبها. (٢) المتنمر: الغاضب، تشبيها له بالنمر، لأن من عاداته إلا يلقاك دائما إلا متنكرا غضبان. ويرنو: ينظر. (٣) يريد «بالمستشار» هنا: المستر بوند الانجليزى، وهو من قضاء المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى. والمعاجز: من عاجزت الرجل، إذا أتيت بما يجعله عاجزا. والمناجز: المقاتل المبارز. ومحزب، أى مفرق أعوانه، فبعضهم يتولى أمر الجلد، والبعض يتولى أمر الشنق...إلخ. (٤) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم. وأردوا: زهلكوا. ويريد «بالخامس»: الحب المذكور فى البيت الآتى. (٥) أقصيتهم : أبعدتهم. وطار المنصب، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم.

فـاجْعَلْ شِـعـاَرِكَ رَحْـمَـةً ومَـوَدَّةً   إنّ الـقُلُـوبَ مَـعَ الْـمَوَدَّةِ تُكْسَـبُ

وإذا سُـئِلْتَ عن الكِنانةِ قُلْ لَـهُمْ   هى أُمَّـةٌ تَلْهُـو وشَـعْبٌ يَلْعَبُ

واستَـبْقِ غَـفْلَتَـهـا ونَمْ عنهـا تَنمْ   فـالناسُ أمـثالُ الـحَوادِثِ قُلَّبُ[1]

---

(١) قلب، اى متقلبون لا يثبتون علي حال احدة. والذى وجدناه فى كتب اللغة أن القلب: صفة للمفرد اى المتقلب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ، ومنه قول الشاعر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها، وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

٢٨ـ شكوى مصر من الاحتلال

(نشرت فى أول يناير سنة ١٩٠٧)

لقد كان فِينا الظُّلْمُ فَوْضَى فهُذِّبَتْ ... حَواشِيه حتّى باتَ ظُلْمًا مُنظَّمَا[١]

تَمُنُّ علينا اليَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرىَ ... وأَنْ أصْبَحَ المِصْرِىُّ حُراً مُنَعَّمـا[٢]

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً ... فــإنّ رأيتُ المَنَّ أَنْكَى وآلَمــا[٣]

عَمِلْتُمْ على عِزِّ الجَمادِ وذُلِّنا ... فـأَغْلَيْتُمُ طِيناً وأَرْخَصْتُمُ دَمـا

إذا أَخْصَبَتْ أرضٌ وأَجْدَبَ أَهْلُها ... فلا أَطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما[٤]

نَهَشُّ إلى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى ... به رَبُّه لِلسـوقِ أَلْفـاهُ دِرْهَمـا[٥]

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرةِ المالِ ـ لَمْ تُفِدْ ... مَتاعًا ولم تَعْصِمْ مِن الفَقْرِ ـ مَغْنَما

فإنّ كَثيرَ المالِ ـ والخَفْضُ وارِفٌ ... قليلٌ إذا حَلَّ الغَـلاءُ وخَـيَّمـا[٦]

---

(١) الحواشى: النواحى. وتهذيبها: إصلاحها. (٢) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية. ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهيتها بفضل الإنجليز. (٣) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردّده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود ولا سيما عهد اسماعيل ، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم (٤) جادها السما اى نزل عليها المطر. (٥) هش إليه : ارتاح وبش . ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل إلى قدر الدرهم فى الشراء.. (٦) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع . يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

٢٩ - إلى البرنس حسين كامل باشا[١]

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمتَى تَنامُ ... أَهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أَمْ هُيامُ[٢]

غَفا المَحْزُونُ والشاكِى وأَغْفَى ... أَخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ[٣]

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا ... وآونَةً يُقَلِّبكَ السَّقامُ[٤]

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى ... تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ[٥]

وضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشايَا ... وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ[٦]

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا ... وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنامُ[٧]

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى ... أَذاعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

بَرِيِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ ... مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ ؟[٨]

---

(١) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ - ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣م. وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر. وتوفى رحمه الله فى ٩اكتوبر سنة ١٩١٧م. (٢) نصل الدجى: خرج من سواده لبيض بطلوع الصباح. وذاد:منع. والهيام: العشق. (٣) غفا وأغفى: نام. والمستهام: العاشق (٤) تقليب الكف: كناية عن الحيرة. (٥) المحاجر: جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما)، وهو ما دار حول العين. والغمام: السحاب. يقول: إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك. (٦) الحشايا: الفرش المحشوة: الواحدة حشية (بتشديد الياء). (٧) تساجل الأفلاك سهدا، أى تشاركها فى السهر وتناوبها فيه. ورنقها: خالطها. (٨) الرسيس: البقية والأثر.

وقد لَمَعَ المَشيبُ وذاكَ سَيْفٌ ... على فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الحِمامُ[1]
أيَجْمُلُ بالأديبِ أديبِ مِصْرٍ ... بُكاءُ الطِّفلِ أَرْهَقَهُ الفِطامُ[2]
ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ ... ومِصْرٌ فى يَدِ الباغِى تُضامُ؟[3]
عَدِمْتُ يَراعَتى إن كان ما بى ... هَوًى بين الضُّلوعِ له ضِرامُ[4]
وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِى ... وغالَ شَبابِىَ الخَطْبُ الجُسامُ[5]
ورَبَّانِى الذى رَبَّى (لَبِيدًا) ... فعَلَّمَنِى الذى جَهِلَ الأنامُ [6]
لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ ... ومالِى دُونَها أَمَلٌ يُرامُ[7]
ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ ... تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ
وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ ... وأيّامَ الزَّمانُ لها غُلامُ
فأَقْلَقَ مَضْجَعِى ما باتَ فيها ... وباتَتْ مِصْرُ فيه، فهَلْ أُلامُ؟
أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِى ... تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ[8]
إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ ... أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ
سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتَّى ... تَخَطَّفَ رِزْقَه ذاكَ الزِّحامُ[9]

---

(١) الفودان: ناحيتا الراس. والحمام (بكسر الحاء): الموت. ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتى الراس»: الشيب، لأن كليهما قاتل. (٢) ارهقه: اذاه وآلمه. (٣) الباغى: الظالم. (٤) اليراعة. القلم. ويريد بلاغته وأدبه لأنهما يكتبان به. وضرام النار: اشتعالها. (٥) غاله: افناه وأهلكه والجسام والجسيم: العظيم.
(٦) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف، صاحب المعلقة المشهورة، التى أولها: عفت الديار محلها فرسومها. وكان من المعمرين، ادرك الجاهلية والإسلام وأسلم. ويريد «بالذى ربى لبيدا»: الزمان وتطاوله. وخصه بالذكر لأنه من المعمرين، وممن جربوا الحياة حتى سئموها، قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

(٧) أرق أرقا (وزان فرج فرحا): سهر. (٨) المدرجة: الطريق. والعوادى: النوائب. وتمخخ العظم، إذا أخرج مخه. والداء العقام: الذى لا يرجى البرء منه. (٩) يريد «بالزحام»: مزاحمة الأجانب للمصريين.

قد استَعصَى على الحُكَماءِ مِنّا ... كما استَعْصى على الطِّبِّ الجُذامُ[1]
هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ ... ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُه انْقِسامُ
وإنّا قد وَنِينَا وانقَسَمْنا ... فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وئامُ
فساءَ مقامُنا فى أَرْضِ (مِصْرٍ) ... وَطابَ لغَيْرِنا فيها المُقامُ
فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَت علينا ... مَذاهِبُنا وأكثَرُنا نِيامُ[2]
(حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ ... رِجالاً عن طِلابِ الحقِّ نامُوا
وكُنْ بأَبِيكَ لابنِ أَخِيكَ عَوْنًا ... فأنتَ بكَفِّهِ نِعْمَ الحُسامُ[3]
أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئامًا ... فقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها الخِصامُ
وعَلِّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَوادِى ... فمِثْلُكَ لا يُرَوِّعُه الصِّدامُ[4]
ففى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ ... وإنْ قَلُّوا فإنَّهُمْ كِرامُ
وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ ... كُماةٌ لا يَطِيبُ لها انهِزامُ[5]
فَكونوا للبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ ... مِنَ النُّهُزاتِ والفُرَصِ اغتِنامُ[6]
فما سادُوا بمُعجِزَةٍ علينا ... ولكنْ فى صُفوفِهِمُ انضِمامُ[7]
فلا تَثِقُوا بوَعْدِ القَوْمِ يومًا ... فإنَّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ[8]
وخافُوهُمْ إذا لانُوا فإنِّى ... أَرَى السُّوّاسَ ليس لَهُمْ ذِمامُ[9]

---

(١) الضمير فى «استعصى»: يعود على «التواكل» السابق. (٢) المذاهب: الطرق. (٣) يريد «بابن أخيه»: عباس الثانى خديوى مصر السابق. (٤) العوادى: النوائب. ويروّعه: يفزعه.. (٥) الكماة: الشجعان؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء). (٦) النهزات: ما ينتهز من الفرص، الواحدة نهزة (بضم فسكون). (٧) سادوا: يريد شعوب الغرب. (٨) يريد «بالقوم»: الإنجليز. و «بوعدهم»: ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها. والجهام من السحب (بفتح الجيم): الذى لا ماء فيه. (٩) الذمام: الذمة والعهد.

فكَمْ ضَحِكَ العَميدُ على لِحانَا ... وغُـرٌّ سَـرِاتَنا مِنْهـا ابْتِسـامُ[1]

أَبَا الفَـلَاحِ إنَّ الأمْـرَ فَـوْضَى ... وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ[2]

فـأَسْـعِـدْنا بَنْشـرِ العِلْمِ واعلَمْ ... بأنَّ النَّقْصَ يَعْـقُـبُـه التَّـمـامُ

وليسَ العِلْمُ يُمْـسكُنا وَحِـيـدًا ... إذا لَم يَنْصُـرِ العِلْمَ اعـتِـرامُ

وإنْ لَم يُدْرِك الدُّسْتُورُ (مِصْرًا) ... فـمـا لحِـيـاتها أبدًا قِـوامُ[3]

حَـمَوْنا وِرْدَ مـاءِ (النِّيلِ) عَـذْبًا ... وقـــالوا: إنهُ مَـــوْتٌ زُؤامُ[4]

ومـــا الموتُ الزُّؤامُ إذا عَـــقَلْنا ... سِوَى الشَّرِكاتِ حَلَّ لها الحَرَامُ

لقَـد سَـعِـدَتْ بِغَـفْلَتِنا فـراحَتْ ... بِثَـــرْوَتِنا وَأَوَّلُهـــا (التَّـــرامُ)

فـيـاوَيْلَ القَناةِ إذا احـتَـواهَا ... (بَنو التَّامِيزِ) وانحَسَرَ اللِّثامُ[5]

لقَـد بَقَـيتْ مِنَ الدُّنيـا حُطامًـا ... بأيْدِينا وقـــد عَـــزَّ الحُطامُ[6]

وقـــد كُنَّا جَـــعَلْناها زِمـــامًـــا ... فــوالَهْــفِي إذا قُطِعَ الزِّمـــامُ[7]

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أَدْرِي ... أَحَـــرْبٌ فى جِـرابِكَ إمْ سَـــلامُ

أَجِـــبْنَا، هل يُـرادُ بنـا وَراءٌ ... فنَقْـضِى أَمْ يُرادُ بنا أَمــامُ[8]

---

(١) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست). والسراة من الناس: أهل الرفعة والمنزلة، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد بالياء). (٢) ابو الفلاح: كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب. ولزام، أى أن الجهل والفوضى متلازمان، إذا وجدهما وجد الآخر. (٣) قوام الأمر: نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به. (٤) يشير بهذا البيت إلى شركة المياه. ويريد بقوله: «موت زؤام»: ما يحمله ماء النيل الكثر من الجراثيم. (٥) القناة، اى قناة السويس. وبنو التاميز: الإنجليز. والتاميز: نهر عندهم معروف. ويريد «بانحسار اللثام»: انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر. (٦) بقيت، اى القناة. (٧) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا، وقد كنا نامل منها ان تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه ان تنقطع هذه الصلة. (٨) نقضى: نموت.

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا ... لقد طاشَتْ نبالُكَ والسِّهامُ[1]

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا ... ومِنْ أَبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

(١) حزب اليمين: الاعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين. وحزب الشمال: المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمّة وأبناء نجدتك، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك. والنجدة: الشجاعة والنصرة.

٣٠ـ حرب طرابلس[1]

[فى سنة ١٩١٢]

طَمَعٌ أَلْقَى عن الغَـرْبِ اللِّثَـامـا … فاستَفِقْ يا شَرْقُ وأحذَرْ أن تَنامَا[2]

وآحـمِلِي أيَّتُـهـا الشـمسُ إلى … كلِّ مَنْ يَسْكُنُ فى الشَّرِقِ السَّلاما

وأشــهَــدِى يومَ التَّنادِى أنَّنـا … فى سَبِيلِ الَحقِّ قد مِتْنا كِراما[3]

مـادَتِ الأَرْضُ بِنَا حِينَ انتَـشَتْ … مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالاً وحَرامـا[4]

عَـجَــزَ الطُّلْيــانُ عَنْ أبْطالِنا … فأَعَلُّوا مِنْ ذَرارِينا الحُسـاما[5]

كَـبَّلُـوهُـمْ، قَـتَلُـوهُـمْ، مَـثَّلُوا … بذَواتِ الخِدْرِ، طاحُوا باليَتَامَى[6]

ذَبَحُـوا الأَشـيـاخَ والزَّمْنَى ولَمْ … يَرْحَموا طِفْلاً ولَمْ يُبْقُوا غُلامـا[7]

أَحْرَقُوا الدُّورَ، أستَحَلُّوا كلَّ مـا … حَرَّمَتْ (لاهاى) فى العَهْدِ احتِراما[8]

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدات أوربا تنشط فى اقتسام افريقيا. ولما رات إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس، قويت أطماعها فى طرابلس، ولم تلث سنة ١٩١٢م حتى اغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته. (٢) اللثام (بالكسر): النقاب. أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم. (٣) يوم التنادى: يوم القيامة. (٤) مادت الأرض: اضطربت. وانتشت: سكرت. (٥) أعلوا، أى سقوا. وأصل الإعلال: السقى بعد السقى. (٦) طاح به: ذهب به وأهلكه. (٧) الزمنى: ذوو العاهات؛ الواحد: زمن (بفتح الأوّل وكسر الثانى). (٨) يشير إلى مؤتمر لاهاى الذى عقد سنة ١٨٩٩م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب، بتقليل السلاح، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول إلى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول.

بـارَكَ فـى أَعْـمـالِهِمْ — فَـسلُوه بـارَكَ القَـوْمَ عَـلامـا؟

أبهـذا جـاَءُهم إنْجِـيلُهُمْ — آمرًا يُلْقى على الأرضِ سَلامًا؟

كَشَـفُوا عن نَيِّـةِ الغَـرْبِ لنا — وجَلَوْا عن أُفُقِ الشَّـرْقِ الظَّلام

فـقَـرأناها سُطُورا مِنْ دَمٍ — أَقْسَمَتْ تَلْتَهِمُ الشَّرْقَ الْتِـهاما

أَطْلَقُوا الأسطُولَ فـى البَحْرِ كما — يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فى الجَوِّ الحَماما(١)

فـمَضَى غـيرَ بَعيـدٍ وانْثَنَى — يَحْمِلُ الأَنْبـاءَ شُؤْمـاً وأنهِزاما

قـد مَـلأَنَا البَـرَّ مِنْ أَشْـلائِهِمْ — فدَعُوهُمْ يَمْلَئوا الدُّنيا كَلاما(٢)

أَعْلَنوا الحَـرْبَ وأشْـمَرْنا لهُمْ — أَينَمَا حلُّوا هَلاكاً واحتِراما(٣)

خَـبِّـرُوا(فِكْتُـورَ) عنّا أنّه — أدْهَشَ العـالَمَ حَـرْباً ونِظاما(٤)

أَدْهَشَ العـالَمَ لَمـا أَنْ رَأَوْا — جَيْشَه يَسْبِقُ فى الجَرْىِ النَّعاما

لَمْ يَقِفْ فى البَـرِّ إلا رَيْثَـمـا — يُسلِّم الأرْواحَ أو يُلْقِي الزِّمـامـا

حـاتَمِ الطَّلْيـانِ قـد قَلَّدْتَنا — مِنَّةً نَذْكُرُها عـامـاً فَـعـامـا(٥)

أنت أَهْدَيْتَ إلـينـا عُـدَّةً — ولِبـاسـاً وشَـراباً وطَعـامـا

وسِـلاحـاً كـان فـى أَيْدِيكُمُ — ذا كَلالٍ فغَدا يفْرِى العظاما(٦)

أَكـثُـروا النُّزْهَةَ فى أَحـيـائِنا — ورُبانا إنَّهـا تَشْـفِى السَّـقـامَـا

وأقـيـمُـوا كلَّ عـامٍ مَـوْسـمـاً — يُشْـبِعِ الأَيْتـامَ مِنّا والأيامَى(٧)

---

١) الزاجل: الذى يرسل الحمام. (٢) الأشلاء: الأعضاء وبقايا الأجساد؛ الواحد شلو . (٣) اخترم القوم: استأصلهم. (٤) فكتور عما نوئيل، هوملك إيطاليا. (٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم، ولايخفى ما هذا من التهكم.
(٦) كل السيف كلالا: لم يقطع. ويفرى: يشق.. (٧) الأيامى: جمع أيم(بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها.

لسْت أدْرِي بِتّ تَرْعَى أمـــةٌ ... مِن بَنِي (التِّلْيانِ أمْ تَرْعَى سَواما)[1]

مـالُهمْ - والنّصْـرُ مِنْ عـاداتهِمْ ... لَزِموا الساحِلَ خَوْفًا واعتصاما

أَفْلَتـوا مِنْ نـارِ (فِـيـزُوفَ) إلى ... نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدنَى ضِراما[2]

لم يَكُنْ (فيزُوفُ) أدْهَى حَمَمًـا ... مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ الموتَ الزُّؤاما[3]

إيهِ يا (فِـيزُوفُ) نَم عنهُم فـقـد ... نَفَـضَتَ إفـريقـيَا عنهـا المنَاما

فَـهْيَ بُرْكَـانٌ لـهمْ سَـخّـرَهُ ... مـالِكُ المُلْكِ جَـزاءً انتِـقـامـا

لو دَرَوْا مـا خَـبَأَ الشَّـرقُ لـهمْ ... آثَرُو (فِيزُوفَ) واختارُوا المُقاما

تِلْكَ عُـقْـبَى أمّـــةٍ غــادِرةٍ ... تَنْكُثُ العَهْدَ ولا تَرْعَى الذِّماما[4]

تِلْكَ عُـقْـبَى كلّ جَـبّـارٍ طَغَى ... أو تَعـالَى أو عَن الحقِّ تَعـامَى

(١) السوام: الإبل الراعية. (٢) فيزوف: بركان فى جنوبى إيطاليا معروف. (٣) الحمم: جمع حممة، وهى كل ما احتراق من النار. يريد ما يقذفه بركان فيزوف. ويريد «بالكرات»: قذائف المدافع. والزؤام: الكريه.
(٤): الذمام: الحق والحرمة.

٣١ـ مسرحية الحرب*

(منظومة تمثيلية)

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب ، ورجل عربى.

الجريح :

(لَيْـــلاىَ) مـــــا أنا حَىٌّ يُـرْجَـى ولا أنـا مَـــــــيْتُ

لَـمْ أَقـــضِ حَـــقَّ بِــلادِى وهـأنـا قَـــدْ قَـــضَـــيْتُ

شَـــفَـــيْتُ نَفْسِى لَـوَ انِّـى لَمَّـــا رُمِـــيتُ رَمَـــيْتُ

(بَيْـــرُوتُ) لو أنَّ خَـــصْــمًـــا مَـــشَى إلىَّ مَـــشَـــيْتُ

أو داسَ أَرْضَـــكِ بـــاغٍ لَـدُسْـــتُـــــه وبَـغَـــيْتُ

أَو حَلَّ فـــيكِ عَـــدُوٌّ مُـنـازِلٌ مـــا اتَّـقَـــيْتُ

لكنْ رَمـــاكِ جَـــبـــانٌ لو بان لى لاشْـــتَـــفَـــيْتُ(١)

(لَيْــلاىَ) لا تَحْـــسَـــبِـــينى على الحـــيـــاةِ بَكَيْتُ

ولا تَـــظُـــنِّـــى شَـــكـــاتِـــى مِنْ مَـــصْـــرَعِى إن شَكَوْتُ(٢)

---

(١) اشتفى : اخذ بثاره فشفى بذلك نفسه. (٢) الشكاة: الشكوى.

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِى ... (بَيْرُوتَ) أَنِّى سَلَوْتُ[1]

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرامِى ... فِيها وفيكِ صَبَوْتُ [2]

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبابى ... لَهْوًا وفِيها جَرَيْتُ

فِيها عَرَفْتُكِ طِفْلاً ... ومِنْ هَواكِ انْتَشَيْتُ[3]

ومِنْ عُيُونِ رُباهَا ... وعَذْبِ فِيكِ ارْتَوَيْتُ[4]

فِيها(لِلَيْلى) كِناسٌ ... ولِى مِنَ العِزِّ بَيْتُ [5]

فِيها بَنَى لِىَ مَجْدًا ... أوائِلِى وبَنَيْتُ

(لَيْلى) سِراجُ حَياتِى ... خَبَا فَما فِيهِ زَيْتُ[6]

قَدْ أَطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ ... ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ[7]

رَمَى بِهِنَّ بُغَاةٌ ... أَصَبْنَنِى فَتَوَيْتُ[8]

لَيْلى :

لو تُفْتَدَى بِحَياتِى ... مِنَ الرَّدَى لَفَدَيْتُ

ولو وَقَاكَ وَفِىٌّ ... بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ

إنْ عِشْتَ أو مِتُّ إنِّى ... كَما نَوَيْتَ نَوَيْتُ[9]

---

(١) اى لا تخشى يا ليلاى من سلوتى إياك حينما أنكر بيروت، فكلا كما فى الحب عندى سواء. كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية. (٢) صبا: مال. اى إن شوقى وغرامى وميلى فيك وفيها. (٣)انتشى: سكر. (٤) الربا. ما ارتفع من الأرض؛ الواحدة ربوة. وعذب فيك، اى ريقك العذب. (٥) الكناس: بيت الظبى الذى يأوى إليه. (٦) خبا: خمد وطفىء. (٧) يريد «بالكرات»: قذائف المدافع المعروفة بالقنابل واللظى: النار، أو لهبا. والفوت: الانفلات. (٨) توى: هلكت. (٩) كما نويت نويت، اى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك.

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِى وقَرِّى ... إذَا الحِمَامُ دَعَانِى
(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى ... مَعْدُودةٌ بالثَّوانِى
فكَفْكِفِى مِنْ دُمُوعٍ ... تَفْرِى حُشاشةَ فانِى[1]
وَمَهِّدِى لِى قَبْرًا ... على ذُرا (لُبْنان)
ثم اكْتُبى فوقَ لَوْحٍ ... لكلِّ قاصٍ ودانِى
هُنا الذى ماتَ غَدْرًا ... هُنا فَتَى الفِتْيان
رَمَتْهُ أيْدِى جُناةٍ ... مِنْ جِيرَةِ النِّيران[2]
قُرْصان بَحْرٍ تَوَلَّوا ... مِنْ حَوْمِةِ المَيْدانِ[3]
لَم يَخْرُجوا قَيدَ شِبْرٍ ... عَنْ مَسْبحِ الحِيتانِ
ولَم يُطِيقوا ثَباتًا ... فى أوْجُهِ الفُرْسانِ
فشَمَّرُوا لانتِقامٍ ... مِنْ غافِلٍ فى أمانِ
وسَوَّدُوا وَجْهَ(رُومَا) ... بالكَيْدِ للجِيرانِ
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ ... فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ[4]
لو أنَّهمْ نازَلُونَا ... فى الشَّامِ يومَ طِعانِ
رَأوْا طَرابُلْسَ تَبْدُو ... لهم بكلِّ مَكانِ

---

(١) تفرى : تقطع . والحشاشة: بقية الروح فى المريض. (٢) يريد «بجيرة النيران» : الإيطاليين، لوجود البراكين فى بلادهم. (٣) قرصان البحر: لصوصه. وحومة الميدان: موضع القتال. يريد ميدان طرابلس. (٤) البغاث؛ طيور يضرب بها المثل فى الضعف. والعقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجوارح، والعرب تسميه (الكاسر).

يا لَيْتَنى لَم أُعَاجَلْ بالموتِ قَبْلَ الأوَانِ
حتّى أرَى الشَّرْقَ يَسْمُو رَغْمَ اعتداءِ الزّمانِ
ويَسْتَرِدُّ جَلالاً له ورِفْعَةَ شَانِ
ولْيَعْلَم الغَرْبُ أنّا كأُمَّةِ (اليابان) :
لا نَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى فى ذِلَّةٍ وهَوانِ
أرَاهُمُ أنْزَلُونا مَنازِلَ الحَيوانِ
وأَخْرَجُونا جَمِيعًا عَنْ رُتْبةِ الإنْسانِ
وسَوْفَ نَقْضِى عليهم طَبائِعُ العُمْرانِ(١)
فيُصْبِحُ الشّرْقُ غَرْبًا ويَسْتَوِى الخافِقانِ(٢)
لاهُمَّ جدِّدْ قُوانا لخِدْمَةِ الأوْطانِ(٣)
فنَحْنُ فى كلِّ صُقْعٍ نَشْكُو بكلِّ لِسانِ(٤)
يا قومَ إنجيلِ (عِيَسى) وأمّةَ القُرآنِ
لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا فالمُلْكُ للدّيّانِ

ليلى :

إنِّى أرَى مَنْ بَعِيدٍ جَماعةً مُقْبِلِينَا
لَعَلَّ فيهمْ نَصِيراً لَعَلَّ فيهمْ مُعِينا

---

(١) يريد «بطبائع العمران» : سننه فى الترقى من حسن إلى احسن، كما يدل عليه البيت الآتى. (٢) الخافقان : المشرق والمغرب. (٣) لاهم، اى اللهم. (٤) الصقيع (بالضم) : الناحية، والجمع أصقاع.

العربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَمَاسَكْ إنِّى سَمِعتُ أنينا[1]

أظُنُّ هذَا جَرِيحًا يَشْكُو الأسَى أوْ طَعِينا

بِاللهِ مَاذا دَهَاهُ يا هَذه خَبِّرِينا؟

ليلى :

لقد دَهَتْهُ المَنَايا مِنْ غَارَةِ الخائِنِينَا

صَبُّوا علينا الرَّزايا لَمْ يَتَّقُوا اللهَ فِينا

فَخَفِّفُوا مِنْ أذاهُ إنْ كنتمُ فاعِلِينا

العربىّ :

لا تَيْأسِى، وتَجَلَّدْ أراكَ شَهْمًا رَكِينًا[2]

أبْشِرْ فإنكَ نَاجٍ وأصبِرْ مع الصَّابِرِينا

الطبيب :

أوَّاه إنِّى أراهُ بالموت أمْسَى رَهِينَا

جِرَاحُه بالِغاتٌ تُعْيِى الطَّبِيبَ الفَطِينا

وعَنْ قَرِيبٍ سيَقْضِى غَضُّ الشَّبابِ حَزِينا[3]

العربى :

أُفٌّ لقَوْمٍ جِيَاعٍ قد أزْعَجُوا العالَمِينَا

قِرَاهُمُ أين حَلُّوا ضَرْبٌ يَقُدُّ المُتُونا[4]

---

(١) تماسك : تمالك. (٢) الركين : الرزين. (٣) يقضى: يموت. (٤) القرى : مما يقدّم للضيف. ويقدّ: يقطع. والمتون : الظهور؛ الواحد : متن

عَقُّوا المُروءَةَ هَدُّوا	مَفَاخِرَ الأوَّلِينا
عاثُوا فَسادًا وفَرُّوا	يَسْتَعْجِلُون السَّفِينا[١]
والْبَسُوا الغَرْبَ خِزْيًا	فى قَرْنِه العِشْرِينَا
والْجَمُوا كلَّ داعٍ	وأحْرَجُوا المُصْلِحِينا
فَيَا (أُرَيَّةُ) مَهْلاً	أينَ الّذى تَدّعِينا
مَاذا تُرِيدِين مِنّا	والداءُ أمْسَى دَفِينا
أينَ الحَضَارَةُ إنّا	بعَيْشِنا قد رَضِينا
لَم نُؤْذِ فى الدَّهْرِ جارًا	ولَمْ نُخاتِلْ خَدِينا[٢]
(مَسَرَّةَ) الشامِ إنّا	أخوانُكمْ مما حَيِينا[٣]
ثِقُوا فإنّا وَثِقْنا	بكمْ وجِئنا قَطِينا[٤]
إنّا نَرَى فيك (عيسَى)	يَدْعو إل الخَيْرِ فِينا
قَرَّبتَ بين قُلوبٍ	قد أوْشَكَتْ أن تَبِينا[٥]
فأنت فَخْرُ النَّصارَى	وصاحِبُ المُسْلِمِينا

الجريح :

رأيتُ يَأسَ طَبِيبِى	وهَمْسَه فى فُؤادِى
لا تَنْدُبِينى فإنِّى	أَقْضِى وتَحْيَا بِلادِى

---

(١) السفين : السفن؛ الواحدة سفينة. (٢) لم تخاتل : لم نخادع. والخدين: الصاحب. (٣) مسرة الشام: مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة. (٤) القطين: أهل الدار المقيمون بها. يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد..

(٥) تبين : تنفصل

العربى :

أستودِعُ اللهَ شَهْمًا نَدْبًا طَوِيلَ النِّجادِ[1]
أسْتَودِعُ اللهَ رُوحًا كانتْ رَجاءَ البِلادِ
فيا شَهِيدًا رَمَتْهُ غَدْرًا كُراتُ الأعادِى
نَمْ هانِئًا مُطْمَئِنًا فلَمْ تَنَمْ أحْقادِى
فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَأْرٌ يُذِيبُ قَلْبَ الجَمادِ

---

(١) الندب: الذى إذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها. والنجاد: حمائل السيف. وطول النجاد: كناية عن طول القامة.

٣٢ـ الحرب العظمى

(نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥م)

لاهُمَّ إنَّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً ... مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ(١)

العِلْمُ يُذْكِي نارَها وتُثِيرُها ... مَدَنِيَّةٌ خَرْقَاءُ لا تَتَرفَّقُ(٢)

ولقاد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعمَةً ... تَأسو الضَّعيفَ ورَحمةً تَتَدَفَّقُ(٣)

فإذا بِنعمَتِهِ بَلاءٌ مُرهِقٌ ... وإذا برَحْمَتِهِ قَضاءٌ مُطْبِقُ(٤)

عَجَزَ الرُّماةُ عن الرِّماةِ فأرسَلُوا ... كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُقُ(٥)

تَتَعوَّذُ الآفاقُ منه وتَنْثَنِي ... عَنْهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيهِ الفَيْلَقُ(٦)

وتَنابَلُوا بالكِيمياءِ فأسْرَفُوا ... وتساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقوا(٧)

وتَنازَلُوا فى الجوِّ حِينَ بَدَا لَهُمْ ... أنَّ البَسِيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

---

(١) لاهمّ، أى اللهمّ. وتفرق: تخاف وتفزع. (٢) يذكى نارها: يشعلها. والخرقاء: الحمقاء. ويشير إلى اثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب. (٣) تاسوالضعيف، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه. (٤) مطبق: عام شامل. (٥) يريد «بالكسف»: قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب اخيرا، شبهها بكسف السحاب، اى قطعة: الواحدة كسفة. (٦) الفيلق: الجيش العظيم. (٧) التنابل: الترامى بالنبل. يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير.

نَفِسُوا على الحِيتانِ واسِعَ مُلْكِها   فتَفَنَّنُوا فى سَلْبِه وتَأَنَّقُوا[1]

مَلَكُوا مَسابِحَهَا علَيْها بَعْدَ ما   غَلَبُوا النُّسُورَ على الجِواءِ وحَلَّقُوا[2]

إنْ كان عَهْدُ العِلْمِ هَذا شَأْنُه   فِينا فعَهْدُ الجاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

---

(١) نفس عليه الشيء: حسده عليه ولم يره أهلا له. (٢) الجواء: جمع جو. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب.

٢٣- مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩م. ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩م

خَرَجَ الغَوانِى يَحْتَجِجْ ... نَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّهْ

فإذا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ ... سُودِ الثِّيابِ شِعارَهُنَّهْ

فطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ ... يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنَّهْ(١)

وأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيـ ... قَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنَّهْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوقا ... رِ وقد أَبَنَّ شُعُورَهُنَّهْ

وإذا بجَيْشٍ مُقْبِلٍ ... والخَيْلُ مُطْلَقَةُ الأعِنَّهْ

وإذا الجُنودُ سُيُوفُها ... قد صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّهْ

وإذا المَدافِعُ والبَنا ... دِقُ والصَّوارِمُ والأسِنَّهْ(٢)

والخَيْلُ والفُرْسانُ قَدْ ... ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنَّهْ

والوَرْدُ والرَّيْحَانُ فى ... ذاك النَّهارِ سِلاحُهُنَّهْ

---

(١) الدجنة: الظلمة. (٢) الضوارم: السيوف القواطع.

فتطاحنَ الجيشانِ سا عاتٍ تَشيبُ لها الأجنّهْ
فتضعضعَ النسوانُ والنِّسوانُ ليسَ لهنَ مُنّهْ[1]
ثم انهزمْنَ مُشتتا تِ الشملِ نَحوَ قُصورِهِنّهْ
فليَهْنأ الجَيْشُ الفخو رُ بنصرِه وبكسرِهِنّهْ
فكأنما الألمانُ قد لَبسُوا البَراقِعَ بَيْنَهُنّهْ
وأتوا (بهِنْدِنْبُرْجَ) مُخْ تَفِيًا بمصْرَ يَقُودُهُنّهْ[2]
فلذاكَ خافُوا بَأْسَهُنَّ وأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنّهْ

---

(١) المنة: القوّة. (٢) هندنبرج، هو القائد الألمانى المعروف فى الحرب العظمى.

٣٤ـ الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأصْغَرُوا أدَبِى ... وقُلْتُ فأكْبَرُوا أرَبِى[1]

وما أرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ ... به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِى؟

وهلْ (فى مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ ... سِوَى الألْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إرْثٍ يُكاثِرُنا ... بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ[2]

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَةٌ ... لشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ[3]

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ ... ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ[4]

ويَمْشِى نَحْوَ رايَتِهِ ... فَتَحْمِيهِ مِن العَطَبِ[5]

فَقُلْ للفاخِرِين: أمَا ... لِهذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُلاً ... رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ[6]

أرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ ... أرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ[7]؟

أرُونِى نادِياً حَفْلاً ... بأهْلِ الفَضْلِ والأدَبِ؟

---

(١) الارب: العقل. (٢) كاثره بماله: فاخره بكثرته. (٣) يريد «بالشعب»: الشعب المصرى. وجدّ فى اللعب: اى استمر عليه وواظب. (٤) القود: القصاص. والراهب (بالتحريك): الخوف. (٥) العطب: الهلاك.. (٦) الركين: الرزين. (٧) يريد «بالمحتسب»: العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه؛ ومنه قولهم: «فلان محتسب البلد».

وماذا في مَدارِسكُمْ ... مِنْ التَّعْليم والكُتُبِ؟
وماذا في مَساجِدِكُمْ ... مِنَ التِّبْيانِ والخُطَبِ؟
وماذا في صَحائِفِكُمْ ... سِوَى التَّمْويهِ والكَذِبِ؟
حَصائِدُ أَلْسُنٍ جَرَتْ ... إلى الوَيْلاتِ والحَرَبِ[1]
فَهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ ... فَإنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
فَهذِى أُمَّةُ (اليابا ... نِ) جازَتْ دارةَ الشُّهُبِ[2]
فَهامَتْ بالعُلا شَغَفًا ... وهِمْنا بابْنَةِ العِنَبِ[3]

---

(١) حصائد الألسنة: ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه، الواحدة حصيدة، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا وجذ. وفى حديث معاذ: «وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم». والحرب (بالتحريك): الهلاك. (٢) الدارة: المنزل. (٣) ابنة العنب: الخمر.

٣٥ـ ثمن الحياد

(نشرت فى ٤ أبريل سنة ١٩٣٢م)

لقد طَالَ الحِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا ... أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الحِيادِ؟
أَخَذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُون مِنَّا ... فما هذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ؟
بَلَوْنَا شِدَّةً منكم ولينا ... فكان كِلاهُمَا نَزَّ الرَّمَادَ
وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زَمانًا ... فلَم يغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى
فَلَيْسَ وراءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّى ... ولَيْس أمامَنَا غَيْرُ الجِهادِ

٣٦ـ إلى الإنجليز

(نشرت فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٢م)

حَوِّلُوا النِّيلَ واحْجُبُوا الضَّوءَ عَنَّا   واطمِسُوا النَّجْمَ واحرِمُونَا النَّسِيمَا

وامْلَئُوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَفِيناً   وامْلَئُوا الجَوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْفِ في كلِّ شِبْرٍ   (كُنْسُتَبْلاً) بالسَّوْطِ يَفْرِي الأدِيما[1]

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ   أو تَرَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيما

عاصِفٌ مُلْكَكُمْ وحَمَاكُمْ   وكَفَاكُمْ بالأمْسِ خَطْبًا جَسِيما

غالَ (أَرْمادَةَ) العَدُوِّ فَفُزْتُمْ   وبَلَغْتُمْ فى الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمًا[2]

فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وبَغَيْتُمْ   وتَرَكْتُمْ فى النِّيلِ عَهْدًا ذَمِيما

فشَهِدْنا ظُلْمًا يُقالُ له العَدْ   لُ ووِدا تسْعَى الحَمِيمَ الحَمِيما[3]

فاتَّقُوا غَضْبَةَ العَواصِفِ إنِّي   قد رَأَيْتُ المَصِرَ أمْسَى وَخِيما

---

(١) العسف: الظالم والأخذ بالقوة. ويفرى الأديم: يشق الجلد. (٢) غال: أهلك وارمادة: هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الإنجليزى فى القرن السادس عشر، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته. وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله. ويشير بقوله «وبلغتم فى الشرق»: إلى كثرة مستعمرات الإنجليز فيه. (٣) يريد «بالحميم» الأول: الصديق. و«الحميم» الثانى: الشراب الشديد الحرارة.

٣٨ـ ذكرى شكسبير[1]

(قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بانجلترا الذى أقام احتفالا بذكري شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته.
(نشرت في ١ مارس سنة ١٩١٦م)

يُحَيِّيكَ مِنْ أَرضِ الكِنانَةِ شاعِرٌ — شَغُوفٌ بقَوْلِ العَبْقَرِيِّين مُغْرَمُ

ويُطْرِبُه فى يَوْمِ ذِكْراكَ أنْ مَشَتْ — اليكَ مُلُوكُ القَوْلِ عُرْبٌ وأَعْجَمُ[2]

نَظَرْتَ بعَيْنِ الغَيْب فى كلِّ أُمَّةٍ — وفى كلِّ عَصْرٍ ثم أنْشَأْتَ تَحْكُمُ

فَلم تُخْطِئِ المَرْمَى ولا غَرْوَ أَنْ دَنَتْ — لَكَ الغَايَةُ القُصْوَى فإنَّك مُلْهَمُ[3]

أَفِقْ ساعةً وانظُرْ إلى الخَلْقِ نَظْرَةً — تَجِدْهُمْ - وإنْ راقَ الطِّلاءُ - هُمُ هُمُ[4]

على ظَهْرِها مِنْ شَرِّ أَطْماعِهِمْ دَمٌ — وفَوْقَ عُبابِ البَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمُ[5]

تَفانَوْا على دُنْيا تَغُرُّ وباطِلٍ — يَزُولُ إلى أنْ ضَجَّتِ الأَرْضُ مِنْهُمُ

فلَيْتَكَ تَحْيَا يا أبا الشِّعْرِ ساعةً — لتَنْظُرَ ما يُصْمِي ويُدْمِي ويُؤْلِمُ[6]

وقائِعَ حَرْبٍ أجَّجَ العِلْمُ نارَها — فكادَ بها عَهْدُ الحَضَارة يُخْتَمُ[7]

---

(١) وليم شكسبير، هو الشاعر الإنجليزى المعروف: ولد سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.
(٢) الأعجم: وصف يطلق على الجمع كما هنا، وعلى المفرد: يقال: رجل أعجم، وقوم أعجم. (٣) القصوى: البعيدة. (٤) راقنى طلاؤه: أعجبنى ظاهره. (٥) ظهرها، أى ظهر الأرض. (٦) أصماه السهم: قتله.
(٧) أجج العلم نارها، أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة

٣٧ـ الحياد الكاذب

(نشرت في سنة ١٩٣٢م)

(قصْرَ الدُّبارَةِ) قَدْ نَقَضْـ ... ـتَ العَهْدَ نَقْضَ الغاصِبِ
أَخْفَيْتَ ما أَضْمَرتَه ... وأَبَنْتَ وُدَّ الصاحِبِ
الحَرْبُ أَرْوَحُ للنُّفُو ... سِ مِنَ الحِيادِ الكاذِبِ

وتَعْلم أنَّ الطَّبْعَ لازال غـالِبًـا ... سَـواء جَـهُـول القَـوْمِ والمُتَـعَلِّمُ

فما بَلَغَت منْه الحضَارةُ مَأرَبًا ... ولا نال منه العِلْمُ ما كانَ يَزْعُمُ[1]

أَهَبْتَ بهَـذا منْ قُـرُونٍ ثَلاثَةٍ ... وَكُنْتَ على تِلْكَ الطَّبائِعِ تَنْقِمُ[2]

وما هَدَمَ التَّجْرِيبُ رأيًا بَنَيْتَه ... ولا زالت الآراءُ تُبْنَى وتُهْـدَمُ

ألا إنَّ ذِكْرَى شِكْسبِيرَ بَدَتْ لنا ... بَشِـيـرَ سـلامٍ ثَغْرُهُ يَتَـبَسَّمُ

فلو أنْصَفُوا أبْطالَهُمْ لتَهادَنُوا ... قليلا وحَيُّوْا شِعْرَه وتَرَنَّمُوا[3]

ولَم يُطْلِقُوا فى يَوْمِ ذِكْراهُ مِدْفَعًا ... ولَم يُزْهِقُوا نَفْسًا ولمَ يتَقَحَّمُوا[4]

له قَلَمٌ ماضِى الشَّباةِ كأنّما ... أقامَ بِشِقَّيْهِ القَضاءُ المُحَتَّمُ[5]

طَهُورٌ إذا ما دُنِّسَتْ كَفُّ كاتبٍ ... وثَوبٌ إذا ما قَرَّ فى الطِّرْسِ مِرْقَمُ[6]

وَلُوعٌ بتَصْوِيرِ الطِّباعِ فلَمْ يَجُزْ ... بعـاطِفَـةٍ إلاّ حَسِبْناه يَرْسُمُ

أرانِىَ فى (ماكْبِيثَ) للحِقْدِ صُورَةً ... تَكادُ بها أحْشاؤُه تَتَضَرَّمُ[7]

ومَثَّلَ فى (شَيْلُوكَ) للبُخْلِ سِحْنَةً ... عليها غُبارُ الهُونِ والوَجْهُ أقْتَمُ[8]

وأقْعَدَنِى عن وَصْفِ (هَمْلِيتَ) حُسْنُها ... وفى مِثْلِها تَعْيَا اليَراعَةُ والفَمُ

دَعِ السِّحْرَ فى (رُومْيُو) و(جُولِيتَ) إنّما ... يُحسُّ بِما فيها الأديبُ المُتَيَّمُ

أتاهُمْ بِشِعْرٍ عَبْقَرِىٍّ كأنّه ... سُطُورٌ مِنَ الإنْجِيلِ تُتْلَى وتُكْرَمُ

---

(١) منه: أى من الطبع. (٢) أهبت: دعوت. (٣) تهادنوا قليلا، أى كفوا عن الحرب. يشير إلى ماكان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى. (٤) تقحم الحرب واقتحمها: دخل فيها وخالطها. (٥) شباة القلم: سنه (٦) المرقم: القلم. (٧) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير فى خنجر ماكبيث التى ترجمها حافظ ونشرت فى هذا الديوان. (٨) الهون: الذل. والأقتم: العابس المتجهم.

نَدِىٌّ على الأيامِ يَزْدادُ نَضْـــرَةً ... ويَزْدَادُ فيـها جِدَّةً وهو يَقْدُمُ[1]

يُؤَتِّى إلى قُـرّائه أنَّ نَسْــجَــه ... لِيَوْمٍ وأنَّ الحائكَ اليومَ فِيهم[2]

كتِلْكَ النُّقُوشِ الزّاهياتِ بمَعْبَدٍ ... لفِرْعَوْنَ لازالت على الدَّهْرِ تَسْلَمُ

فلَمْ يَدْنُ مِنْ إحْسَانه مُتَأَخِّرٌ ... ولَمْ يَجْرِ فى مَيْدانه مُتَقَدِّمُ

أطَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيالِه ... وحَلَّقَ حَيْثُ الوَهْمُ لا يَتَجَشَّمُ[3]

وجاءَ بما فَوْقَ الطَّبيعَةِ وَقْعُه ... فأَكْبَرَ قَوْمٌ ما أتاهُ وأعْظَمُوا

وقالوا تَحَدَّانا بما يُعْجِزُ النُّهَى ... فلَسْنا إذَنْ آثارَهَ نَتَرَسَّمُ[4]

ولَم يَتَحَدَّ الناسَ لكنَّه امرؤٌ ... بما كانَ فى مَقْدُورِه يَتَكَلَّمُ

لقد جَهِلُوه حِقْبَةً ثمّ رَدَّهُمْ ... إليه الهُدَى فاستَغْفَرُوا وتَرَحَّمُوا[5]

كذاكَ رِجالُ الشَّرْقِ لو يُنْصِفُونَهُمْ ... لَقامَ لهم فى الشَّرقِ والغَرْبِ مَوْسِمُ

أضاءَ بهمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ ... وأعقابُهُمْ عَنْ نُورِ آياتِهِمْ عَمُوا

فقُلْ لِبَنِى التّاميزِ والجَمْعُ حافِلٌ ... به يُنْثَرُ الدُّرُّ الثَّمِينُ ويُنْظَمُ

لئن كان فى ضَخْمِ الأساطِيلِ فَخْرُكُمْ ... لَفَخْرُكُمُ بالشاعرِ الفَرْدِ أعْظَمُ

---

(١) يريد «بالندى» تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها. (٢) يقول: إن شعره لجدّة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقرائه أنه قد قيل فى هذا العهد الذى قرأوه فيه، وأن قائله لا يزال حيا بينهم. (٣) لا يتجشم، أى لايتكلف. (٤) تحدّانا: بارانا ونازعنا الغلبة. وترسم آثاره: اقتدى بها وسار عليها. (٥) الحقبة: المدة من الدهر.

٣٩ـ تحية أحمد شوقى بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه إلى مصر من منفاه بالأندلس، ولكنه عجل بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم، كما قال فى رسالته إلى الأهرام. (نشرت فى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩م)

وَرَدَ الكنانةَ عبقرىُّ زمانهِ   فتنظرى يامصرُ سحرَ بيانهِ(١)

وأتى الحُسان فهنّئوا مُلْكَ النُّهَى   بقيام دولتهِ وعَوْد حُسانهِ(٢)

النيلُ قد ألْقَى إليه بسمعه   والماءُ أمسَكَ فيه عن جريانهِ

والزهرُ مُصغٍ والخمائلُ خُشَّعٌ   والطيرُ مستمعٌ على أفنانهِ(٣)

والقُطْرُ شوقٍ لأندلسيَّةٍ   شوقيَّة تشفيه من أشجانهِ(٤)

يُصغِى لأحمدَ إنْ شدا مترنّمًا   إصغاءَ أمّة أحمدٍ لأذانهِ(٥)

فاصدحْ وغنِّ النيلَ واهززْ عطفَه   يكفيه ما عاناهُ من أحزانهِ(٦)

واذكر لنا الحمراءَ كيف رأيتَها   والقصرَ ماذا كان من بنيانهِ(٧)

---

(١) تنظرى: انتظرى. (٢) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك): كلاهما بمعنى واحد.
(٢) الخمائل: المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة خميلة. (٤) اندلسية شوقية، أى قصيدة من شعر شوقى فى وصف الأندلس. (٥) يريد «بأحمد» الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٦) صدح: رفع صوته بالغناء. والعطف: الجانب. (٧) الحمراء، هو ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطه أجمل ما يرى فى البلاد الاسبانية، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطانى، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر.

ماذا تَحَطَّمَ مِنْ ذُراهُ وما الذى ... أبقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أركانه(١)
واهاً عليه وأهْلِه وبُناته ... أيّامَ كان النَّجْمُ مِنْ سُكّانه
إذْ مُلْكُ أَنْدَلُسٍ عَرِيضٌ جاهُه ... وشَبابُه المَبْكِيُّ فى رَيْعانِه(٢)
الفَتْحُ والعُمْرانُ آيةُ عَهْدِهِ ... وكَتائبُ الأقْدارِ مِنْ أعْوانه
لَبِسَتْ به الدُّنيا لِباسَ حَضارَةٍ ... قد كانَ يَخْلَعُه على جِيرَانِه(٣)
زالتْ بَشاشَتُه وزالَ وأقْفَرَتْ ... مِنْ أنْسِه الدُّنْيا ومِنْ إنْسانِه(٤)
وطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوال فياتُرىَ ... هل ضاقَ صَدْرُ الأرْضِ عن كِتْمَانِه(٥)
فتكلَّمتْ تلكَ الطُّلُولُ وأفْصَحَتْ ... لَمّا وَقَفْتَ مُسائلاً عن شانِه
ولَعلَّ نَكْبَتَه هُناكَ تَفَرُّقٌ ... وتَعَدُّدٌ قد كان فى تيجانِه
عِبَرٌ رأيْناها على أيّامنا ... قد هَوَّنَتْ ما نابَه فى آنِه
وحَوادِثٌ فى الكَوْنِ إثْرَ حَوادِثٍ ... جاءتْ مُشَمِّرَةً لِهَدِّ كِيانِه
سُبْحانَ جَبّارِ السَّمواتِ العُلا ... ومُقَلِّبِ الأكْوانِ فى أكْوَانِه
أهْلاً بِشَمْسِ المَشْرِقَيْنِ ومَرْحَباً ... بالأبْلَجِ المُرْجُوِّ مِنْ إخْوانِه(٦)
أشْكُو إليكَ مِنْ الزَّمانِ وزُمْرَةٍ ... جَرَحَتْ فُؤادَ الشِّعْرِ فى أعْيانِه(٧)

---

(١) تحطم: تهدم. وذراه: أعاليه. وصروف الزمان: حوادثه وتغييراته. (٢) ريعان كل شىء: أوّله (٣) جيرانه، اى ممالك الغرب المجاورة للأندلس. (٤) إنسانه، اى أهله (٥) سر الزوال، اى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده، هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السر فباح به لشوقى لما وقف على أطلال الحمراء؟ (٦) الأبلج: الطلق الوجه. (٧) أعيانه، اى رجال الشعر المبرزين فيه، ويريد بالزمرة، ضعاف الشعراء. وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر، وهو المقصود بقوله بعد: «كم خارج» الخ وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما إليه حين قدم.

كم خـارجٍ عن أُفْقِـه حَـصَبَ الوَرَى   بقَرِيضـه والعُـجْبُ مِلْءُ جَنانِه[1]

يَخْـتـالُ بين النّاسِ مُتَّـئِـدَ الخُطا   رِيحُ الغُـرُورِ تَـهُبُّ مِنْ أَرْدانِه[2]

كم صَكَّ مَـسْـمَـعَنا بجَنْدَلِ لَفْظِه   وأطالَ مِـحْنَتَنا بُطولِ لِسـانِه[3]

ـ ـازالَ يُعْلِنُ بَيْنَنا عن نَفْـسِـه   حتّى أستَغاثَ الصُّمُّ مِنْ إعْلانِه

نَصَحَ الهُداةُ لهم فزادَ غُرورُهُمْ   واشـتَـدَّ ذاكَ السَّيْلُ فى طُغْـيانِه

أو لَم تَرَ الفُـرْقـانَ وهو مُـفَـصَّلٌ   لَـم يَنْفِـتِ البُـــوذِىَّ عن أَوثـانِه

قُلْ لِلّذى قـد قـامَ يَشْـأو أحْـمَـدًا   خَلِّ القَرِيضَ فلَسْتَ مِنْ فُرْسانِه[4]

الشِّـعْـرُ فى أوْزانِه لو قِسْـتَـه   لظَلَمْـتَــه بالدُّرِّ فـى مِـيـزانِه[5]

هَذا امْـرُؤٌ قـد جـاءَ قَـبْلَ أوانِه   إنْ لم يَكُن قد جـاء بَعْدَ أوانِه[6]

إنْ قـال شِـعْـراً أو تَسَنَّمَ مِنْبَرًا   فَـتَـعَـوَّذًا باللهِ مِنْ شَـيْطَانِه[7]

تَخِذَ الخَـيالَ له بُراقًا فـاعْـتَلَى   فوقَ السُّها يَسْتَنُّ فِى طَيَرانِه[8]

مـا كـان يَأمَنُ عَـثْـرَةً لو لـم يَكُنْ   رُوحُ الحَـقِـقَةِ مُـمْـسِكًا بِعنانِه[9]

فـــأتَى بما لَـمْ يَأتِه مُـــتَــقَــدِّمٌ   أو تَطْمَعُ الأذْهـانُ فـى إتيــانِه

---

(١) أصل الحصب: الرمى بالحصا ثم استعمل فى كل مرمى. (٢) متئد: متمهل. وأردانه، أى أثوابه. والأردان: جمع ردن بضم الراء، وهو أصل الكم. (٣) الجندل: الصخر. (٤) يشأوا أحمدا، أى يبلغ غاية شوقى. (٥) فى أوزانه، أى فى الأوزان التى ينظم منها شوقى. وبالدار: متعلق بقوله: «قسته». (٦) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين، أو ممن سيجود بهم الزمن بعد أكتمال الفن. (٧) تتسم الشىء: علاه. (٨) البراق، هي الدابة التى يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج، والسها: كوكب خفى من بنات نعش الصغرى، ويستن: يسرع. (٩) العنان: سير اللجام الذى تمسك به الدابة، يقول إن الذى حمى شعره من الزلل والخطل، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه في قصائده ولولا ذلك لم يأمن الزلل.

هَلْ للَخيالِ وللَحقيقةِ مَنْهَلٌ ... لم يَبْغِه الرُّوّادُ فيِ ديوانِهِ[١]

إنا لَنَلْهُو إذْ نَجِدُ وإنّه ... لَيَجِدُّ إذْ يَلْهُو بنَظْمِ جُمانِهِ[٢]

أقْلامُه لو شاءَ شَكَّ قَصِيرُها ... هامَ الثُّرَيّا والسُّها بِسِنانِهِ[٣]

يُمْلِي عليها عَقْلُه وجَنانُه ... ما لَيس يُنْكِرهُ هَوىَ وِجْدانِهِ

بَسْلٌ على شُعَرائِنا أنْ يَنْطقُوا ... قَبْلَ المُثُولِ لَدَيْه واستِئذانِهِ[٤]

عافَ القَديِمَ وقد كَسَتْه يدُ البِلَى ... خَلَقَ الأديمِ فهانَ فى خُلْقانِهِ[٥]

وأَبَى الجَديدَ وقد تَأَنَّقَ أهْلُهُ ... فيِ الرَّقْشِ حتّى غَرَّ فى ألْوانِهِ[٦]

فَجديدُه بَعَثَ القَديمِ منَ البِلَى ... وأعادَ سُؤْدَدَه إلى إبّانِهِ[٧]

ورَمَى جَديدَهُمُ فخَرّ بِناؤُه ... برُواءِ زُخْرُفِه وبَرْقِ دِهانِهِ[٨]

شُعراءُ نَفْحِ الطِّيبِ أَنْشَرَ ذِكْرَهُمْ ... فى أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَديبُ زَمانِهِ[٩]

وَدَّ (ابن هانِئَ) و(ابنُ عمّارٍ) بها ... لو يَظْفَرانِ مَعًا بَلَثْمِ بَنانِهِ[١٠]

ولو استَطاعاَ فَوْقَ ذاكَ لأقْبَلا ... رَغْمَ البِلَى والقَبْرِ يَسْتَبِقانِهِ[١١]

---

(١) المنهل: المورد ينهل منه الظامئون. والروّاد: الطالبون.. (٢) الجمان: اللؤلؤ. (٣) الهام: الرؤس الواحدة هامة. (٤) بسل: حرام. (٥) عاف القديم: تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رثت وبليت. (٦) الرقش: النقش والزين (٧) السؤدد: السيادة والرفعة. (٨) الرواء: حسن المظهر. (٩) نفح الطيب، وهو كتاب نفح الطيب تأليف أبى العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرى المغربى، نزيل فاس، ثم مصر، المتوفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١هـ. وصف فى هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم. ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم فى هذا الكتاب. (١٠) بها، أى بالأندلس، وابن هانئ هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأسدى الأندلسى الشاعر المعروف. ومنع «هانئا» من الصرف لضرورة الوزن. وابن عمار، هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسى االشاعر المشهور، وقد مات بإشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكانت ولادته سنة أثنتين وعشرين وأربعمائة. (١١) يستبقانه، أى يمشيان أمامه تجلة واحتراما.

يا كَرْمَـةَ (المَطَرِيةِ) ابتَـهِـجِي به	واستَقْبِلى الظُمْآنَ مِنْ أخْدانِه[1]
مُدِّى الظِّلالَ على الوُفُودِ وجَدِّدِى	عَـهْدًا طَواهُ الدَّهْرُ فى بُسـتـانِه
كم مَـجْلِسٍ لِلَّهْوِ فيـه شَـهِـدْتُه	فَــسكِرْتُ مِنْ ديوانِه ودنانِه[2]
غَنَّى مُــغَـنِّيــهِ فَــهــاجَ غِناؤُهُ	شَجْوَ الحمَامِ على ذَوائِبِ بانِه[3]
فـتَـرَنَّحَتْ أَشْـجـارُه وتَمـايَلَتْ	أَعْـوادُها طَرَبًا على عـيدانِه[4]
فكأنَّ مَـجْلِسَنا هُناكَ قَـصَـيـدَةٌ	مِنْ نَظْمِه طَلَعَتْ على عِبْدانِه[5]
فــالحــمــدُ لله الّذى قــد رَدَّه	مِنْ بَعْــدِ غُــرْبَتِــهِ إلى أوْطانِه
فَــتَنَظَّرُوا آياته وتَســمَّــعُــوا	قـد قـامَ بُلْبُلُكُمْ على أغْـصـانِه

(١) المطرية: ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة، وفيها كان بيت المرحوم شوقى بك المعروف بكرمة ابن هانىء. (٢) الدنان: جمع دن (بالفتح) وهو إناء كبير للخمر. (٣) شجو الحمام: بكاؤه. والبان: شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، الواحدة بانه، وذوائبه: أعاليه. (٤) يريد عيدان الغناء. (٥) الضمير فى «نظمه» لشوقى. عبدانه (بضم العين وكسرها)، أى عبيدة من بقية الشعراء.

٤٠- رعايـــة الأطفـــال

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى الأوبرا فى ٨ أبريل سنة ١٩١٠م

شَبَحًا أَرَى أَمْ ذاكَ طَيْفُ خَيالِ ... لا، بَلْ فَتـاةٌ بالعَراءِ حِيَالى[١]

أَمْسَتْ بَمدْرَجَةِ الخُطُوبِ فما لهَا ... راعٍ هُناكَ وما لَها مِنْ وَالى[٢]

حَسْرَى، تَكادُ تُعِدُ فَحْمَةَ لَيْلِها ... نارا بـأنّاتٍ ذَكَـيْنَ طِوالِ[٣]

ما خَطْبُها، عَجَبا، وما خَطْبِى بِها؟ ... مالى أشَاطِرُها الوَجِيعَةَ مالى؟[٤]

دانَيْتُها ولصَوْتِها فى مِسْمَعِى ... وَقْعُ النِّبـالِ عَطَفْنَ إِثْرَ نِبْالِ[٥]

وسأَلْتُها: مَنْ أَنْتِ؟ وهى كَأنَّها ... رَسْمٌ على طَلَلٍ مِن الأطْلالِ[٦]

فَتَملْمَلَتْ جَزَعا وقالت: حامِلٌ ... لَم تَدْرِ طَعْمَ الغَمْضِ مُنْذُ لَيالى

قد ماتَ والِدُها، وماتَتْ أمُّها ... ومَضَى الحِمامُ بَعَمِّها والخالِ[٧]

وإلى هُنا حَبَسَ الحَياءُ لِسانَها ... وجَرَى البُكاءُ بدَمْعِها الهَطَّالِ

فعَلِمْتُ ما تُخْفِى الفَتَاةُ وإنَّما ... يَحْنُو على أَمْثالِها أمثالى

ووَقَفْتُ أَنْظُرُها كأنِّى عابِدٌ ... فى هَيْكَلٍ يَرْنُو إلى تِمْثالِ[٨]

---

(١) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذى لا يستتر فيه بشىء. (٢) مدرجة الخطوب، أى طريق النوائب. (٣) ذكين، أى توقدن واشتعلن. (٤) ما خطبها، أى ما شأنها. (٥) عطفن: رجعن . (٦) الرسم: أثر الدار بعد بلاها. شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال فى النحول والضآلة. (٧) الحمام: الموت. (٨) يرنو : ينظر.

ورأيتُ آياتِ الجَـمـــالِ تَكَفَّلَتْ ... بزَوالِهنَّ فَــوادِحُ الأ ثْـقــالِ [1]

لا شىءَ أَفْعَلُ فى النُّفوسِ كقامةٍ ... هَيْـفــاءَ رَوَّعَـهـا الأسَى بُـهـزالِ

أو غــادَةٍ كــانتْ تُرِيكَ إذا بَدَت ... شَمْسَ النَّهارِ فأَصْبَحَتْ كالآلِ[2]

قلتُ : انهَضى، قالت: أيَنْهضُ مَيِّتُ ... منْ قَبْـرِه ويَسـيـرُ شَنٌّ بالِى[3]

فَـحمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِـهـا وكـأنّنى ... حُمِّلْتُ حينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلالِ

وطَفِقْتُ أَنْتَبُ الخُطا مُـتَـيَـمِّـمًـا ... باللَّيلِ (دارَ رِعـايَةِ الأطْفـالِ)[4]

أَمْشِى وأَحْمِلُ بائِسَيْنِ: فطارِقٌ ... بابَ الحَـيــاةِ ومُــؤْذِنٌ بزَوالِ[5]

أَبْكِيـهـمــا وكــأنّمــا أنا ثَالثٌ ... لَهُمـا مِن الإشْفـاقِ والإعْوالِ[6]

وطَرَقْتُ بابَ الدارِ لامُـتَــهَـيِّـبـا ... أَحَـدًا ولا مُـتَـرَقِّـبـا لسُـؤَالِ

طَرْقَ المُسـافِرِ آبَ مِنْ أَسْـفَـارِه ... أو طَرْقَ رَبِّ الدارِ غـيـرَ مُبـالِى

وإذا بأصْواتٍ تَصيحُ: ألاَ افْتَحوا ... دَقّاتُ مَرْضى مُدْلجِينَ عِجالِ[7]

وإذا بـأيْدٍ طـاهِراتٍ عُــــوِّدَتْ ... صُنْعَ الجَميلِ تَطَوَّعَتْ فى الحالِ

جاءَتْ تُسابِقُ فى المَبَرَّةِ بَعْضُها ... بعــضًــا لوَجْــهِ اللهِ لا للمــالِ

فـتَناوَلَتْ بالرِّفْقِ مــا أنا حــامِلٌ ... كــالأمِّ تَكْلأُ طِفْلَهـــا وتُوالى[8]

وإذا الطبِيبُ مُشَـمِّـرٌ وإذا بِها ... فـوقَ الوَسـائِدِ فى مَكان عـالى

جــاءُوا بأَنْواعِ الدَّواءِ وطَوَّفُــوا ... بسَرِيرِ ضَيْفَتِهِمْ كبَعْضِ الآلِ

---

(١) يريدبفوادح الأثقال، نوائب الدهر التى لا تحتمل لثقلها. (٢) الآل: السراب.. (٣) الشن: القربة الخلق البالية. (٤) انتهب الخطا، أى أسرع فى السير. ومتيمما: قاصدا. (٥)طارق باب الحياة: الجنين. ويريد «بالمؤذن بالزوال»: امه. (٦) الإعوال : البكاء. (٧) المدلجون: السائرون بالليل. والعجال: المسرعون. (٨) تكلأ: تحفظ وتحرس. وتواليه: تتعهده وتحنو عليه.

وجَثَا الطَّبِيبُ يَجُسُّ نَبْضًا خافِتًا ... وَيَرودُ مَكْمَنَ دائِها القَتَّالِ(١)

لَم يَدْرِ حِينَ دَنَا لَيبْلُوَ قَلْبَها ... دَقَّاتِ قَلْبٍ أمْ دَبِيبَ نِمالِ(٢)

ودَّعْتُها وتَرَكْتُها فى أهلِها ... وخَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِيَّ البالِ

وعَجَزْتُ عن شُكْرِ الذين تَجَرَّدُوا ... للباقِياتِ وصالحِ الأعْمالِ(٣)

لم يُخْجِلُوها بالسُّؤالِ عن أسمِها ... تِلك المُرُوءَةُ والشُّعُورُ العالِى

خيرُ الصَّنائِعِ فى الأنامِ صَنِيعةٌ ... تَنْبُو بحامِلِها عن الإذْلالِ(٤)

وإذا النَّوالُ أَتَى ولَمْ يُهْرَقْ له ... ماءُ الوُجُوهِ فذاكَ خَيْرُ نَوالِ

مَنْ جادَ مِنْ بَعْدِ السؤالِ فإنهُ ... - وهو الجَوادُ - يُعَدُّ فى البُخَّالِ

لِلَّهِ دَرُّهُم فكَمْ مِنْ بائِسٍ ... جَمِّ الوَجِيعةِ سَيِّئِ الأحْوالِ

تَرْمِى به الدُّنْيا، فمِنْ جُوعٍ، إلى ... عُرْىٍ، إلى سُقْمٍ، إلى إقْلالِ

عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ واجِفٌ ... نَفْسٌ مُرَوَّعَةٌ وجَيْبٌ خالِى(٥)

لَم يَدْرِ ناظِرُهُ أَعُرْيانا يَرَى ... أمْ كاسِيًا فى تِلْكُمُ الأسْمالِ(٦)

فكأنَّ ناحِلَ جِسْمِهِ فى ثَوْبِهِ ... خَلْفَ الخُرُوقِ يُطِلُّ مِنْ غِرْبالِ

يا بَرْدُ، فاحمِلْ، قد ظَفِرتَ بأعْزَلٍ ... يا حَرُّ، تِلكَ فرِيسَةُ المُغْتالِ(٧)

يا عَيْنُ سُحِّى، يا قُلُوبُ تَفطَّرِى ... يا نَفْسُ رِقِّى يا مُرُوءَةُ وَالِى

---

(١) جثا يجثو: جلس على ركبتيه. والخافت: الضعيف. ويرود: يطلب ويتعرف. ومكمن دائها: حيث يختفى الداء من جسمها. (٢) يبلو : يختبر. (٣) تجرّد للامر: أخلى نفسه له. والباقيات : المآثر التى تبقى بعد صاحبها. (٤) الصنيعة: الإحسان. «وتنبو بحاملها» الخ تبعد بمن تقلدها عن الذل. (٥) مسهدة: ساهرة. والواجف: الخائف. والمروّعة: المفزعة. (٦) الأسمال: الخرق البالية. (٧) الأعزل: الذى لاسلاح معه. ويريد به العارى من الثياب. يقول: أيها البرد أحمل على هذا العارى وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به.

لولاهُمُ لَقَضى عليه شَقاؤُه ... وخَلاَ المَجَالُ لخاطفِ الاجالِ[1]

لولاهُمُ كان الَّردَى وَقْفًا على ... نَفْسِ الفَقيرِ ثَقيلَة الأحْمالِ

لِلّهِ دَرُّ الساهرِين على الالَى ... سَهِروُا منَ الأوْجاعِ والأوْجالِ[2]

القائمين بَخيرِ ما جاءتْ به ... مَدَنيَّةُ الأدْيانِ والأجْيالِ

أهلِ اليَتيمِ وكَهْفِه وحُماتِهِ ... ورَبيعِ أهلِ البُؤسِ والإمْحَالِ[3]

لا تُهْمِلُوا في الصَّالحات فإنَّكُم ... لا تَجْهَلُونَ عَواقِبَ الإهْمَالِ

إنِّى أرَى فُقَرَاءَكُمْ في حاجَةٍ ... - لو تَعْلَمُونَ - لِقائلٍ فَعَّالِ

فَتسابَقُوا الخَيْراتِ فهيَ أَمامَكُمْ ... مَيْدَانُ سَبْقٍ للجَوادِ النَّالِ[4]

والمُحْسِنُون لهمْ على إحْسانِهمْ ... يومَ الإثابَةِ عَشْرَةُ الأمْثالِ[5]

وجَزاءُ رَبِّ المُحْسنِينَ يَجِلُّ عَنْ ... عَدٍّ وعَنْ وَزْنٍ وعَنْ مِكْيالِ

---

(١) خاطف الآجال: الموت. (٢) الأوجال:: المخاوف - (٣) الكهف: الملجأ والمحتمي. ويريد بقوله: ربيع اهل البؤس: أنهم للبائسين بمنزلة الربيع أي خصب وخير. والإمحال: الجدب - (٤) الجواد: الكريم. والنال: الكثير النائل وهو العطاء. (٥) الإثابة: الجزاء. وشير إلى قوله تعالى: (ما جاء بالحسنة فله عشر امثالها).

٤١- مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذا يُكابِدُ عــاشِقٌ ويُلاقِي ... في حُبِّ مِصْرَ كثيرَةِ العُشَاقِ

إنِّي لأحْـمِلُ في هَوَاكِ صَـبـابَةً ... يا مِصْرُ قد خَرَجَتْ عن الأطواقِ[١]

لَهْفِي عليكِ مَـتَى أَراكِ طَلِيـقَـةً ... يحْمِي كريمَ حِماكِ شَعْبٌ راقِي

كَلِـفٌ بمَحْـمُـودِ الخِـلالِ مُـتَـيَّمٌ ... بالبَـذْلِ بين يَدَيْكِ والإنْفـاقِ[٢]

إنِّي لتُطْرِبُنِي الخِـلالُ كـريمَـةً ... طَرَبَ الغَـريبِ بأَوْبَةٍ وتَلاقِي

وتَهُزُّنِي ذِكْرَى المُروءَةِ والنَّدَى ... بين الشَـمـائِلِ هِزَّةَ المُشْـتـاقِ

ما البابِلِيَّةُ في صَفاءِ مِزاجِها ... والشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وسِباقِ[٣]

والشمسُ تَبْدُو في الكُئُوسِ وتَخْتَفِي ... والبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي

بألَذَّ مِنْ خُلُقٍ كــريمٍ طاهِرٍ ... قد ما زَجَتْهُ سَلامَةُ الأَذْواقِ[٤]

فإذا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فقد اصْطَفاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزاقِ[٥]

---

(١) الأطواق : جمع طوق، وهو الجهد والطاقة. (٢) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) الشديد الحب للشيء.
(٢) البابلية: الخمر، نسبة إلى بابل، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها الخمر الجد. والشرب: الشاربون. ويريد «بالسباق»: المسابقة في شرب الخمر. (٤) ألذ : خبر لـ «ما» في قوله السابق: «ما البابلية» .
(٥) الخليقة: السجية والطبيعة.

فَـالناسُ هذا حَظُّه مـالٌ ، وذا ... عِلْمٌ، وذاكَ مَكارِمُ الأَخْـلاقِ

والمالُ إنْ لَمْ تَدَّخِـرْهُ مُـحَـصَّنًا ... بالعِلْمِ كـانَ نِهـايَةَ الإمْـلاقِ[1]

والعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْـه شَمـائِلٌ ... تُعْلِيـه كـانَ مَطِيَّـةَ الإخْـفـاقِ[2]

لا تَحْسَـبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ... مـا لَمْ يُتَـوَّجْ رَبُّه بخَـلاقِ[3]

كم عـالِمٍ مَـدَّ العُلومَ حَبـائِلاً ... لوَقِـيعـةٍ وقَطِيعَـةٍ وفِـراقِ[4]

وفَقِيـهِ قَوْمٍ ظَلَّ يَرْصُـدُ فِقْـهَهُ ... لَمكِيـدَةٍ أو مُسْـتَحَلِّ طَلاقِ[5]

يَمْشِي وقد نُصِبَتْ عليه عِمامَةٌ ... كـالبُـرجِ لكنْ فَـوْقَ تَلِّ نِفـاقِ

يَدْعُونَه عند الشِّقـاقِ ومـادَرَوْا ... أنَّ الذى يَدْعُونَ خِدْنُ شِقاقِ[6]

وطَبِيبِ قَـوْمٍ قَـد أحَلَّ لِطِبِّـهِ ... مـا لا تُحِلُّ شَرِيعَـةُ الخَـلاَّقِ

قَتَلَ الأجِنَّةَ فى البُطُونِ وتـارَةً ... جَمَعَ الدَّوانِقَ من دَمٍ مُـهْراقِ[7]

أغْلَى وأثْمَنُ من تجـارِبِ عِلْمِـه ... يومَ الفَخـارِ تجارِب الحَـلاَّقِ

ومُـهَنْدِسٍ لِلنِّيلِ باتَ بكَفِّـهِ ... مِفْتـاحُ رِزْقِ العـامِلِ المِطْراقِ[8]

تَنْدَى وتَيْـبَسُ للخَـلائِقِ ... بالماءِ طَوْعَ الأَصْفَرِ البَرَّاقِ[9]

لا شيءَ يَلْوِى مِنْ هَواهُ فَحَدُّهُ ... فى السَّلْبِ حَدُّ الخائنِ السَّرَّاقِ

وأَدِيبِ قَـوْمٍ تَسْـتَحِقُّ يَمِينُه ... قَطْعَ الأنـامِلِ أو لظَى الإحْـراقِ

---

(١) الإملاق: الفقر. (٢) تكتنفه، اى تحوطه وتحفظه. والشمائل: الاخلاق. والإخفاق: خيبة المسعى (٣) الخلاق: النصيب من الصلاح والخير. (٤) حبائل الصيد: الاشراك التى يمدّها الصائد للاصطياد، الواحدة حبالة. والوقيعة: غيبة الناس. والقطيعة، هى قطع الصلات بين الناس بما تلقى بينهم من النمائم. (٥) يرصد فقهه، اى يعدّه ويهيئه. (٦) الخدن: الصاحب والصديق. والشقاق: الخلاف. ويريد هنا الخلاف بين الزوجين. (٧) المهراق: المنصب. (٨) المطراق: الذى يكثر طرق ابواب الرزق. (٩) تندى : تبتل. والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق: الذهب، ويريد الرشوة.

يَلْهُو ويَلْعَبُ بالعُقُولِ بَيانُه ... فكأنّه فى السِّحرِ رُقْيَةُ راقِى
فى كَفِّه قَلَمٌ يَمُجُّ لُعابُه ... سُمًّا ويَنْفُثُه على الأوراقِ[1]
يَرِدُ الحقائقَ وهىَ بِيضٌ نُصَّعٌ ... قُدْسِيَّةٌ عُلْوِيَّةُ الإشْراقِ[2]
فَيَرُدُّها سُودًا على جَنَباتها ... مِنْ ظُلْمةِ التَّمْوِيه ألْفُ نِطاقِ[3]
عَرِيَتْ عن الحَقِّ المُطَهَّرِ نَفْسُه ... فحَياتُه ثِقْلٌ على الأعْناقِ
لو كان ذا خُلُقٍ لأسْعَدَ قَوْمَهُ ... بِبَيانِهِ ويَراعِه السَّبّاقِ
مَنْ لى بتَرْبِيَةِ النِّساءِ فإنّها ... فى الشَّرقِ عِلّةُ ذلكَ الإخْفاقِ[4]
الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَها ... أعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأعْراقِ[5]
الأمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَه الحَيَا ... بالرِّىِّ أوْرَقَ أيُّما إيراقِ[6]
الأمُّ أُسْتاذُ الأسَاتِذَةِ الأُلَى ... شَغَلَتْ مآثِرُهُمْ مَدَى الآفاقِ[7]
أنا لا أقُولُ دَعُوا النِّساءَ سَوافِرًا ... بين الرِّجالِ يَجُلْنَ فى الأسْواقِ[8]
يَدْرُجْنَ حيثُ أرَدْنَ لا مِنْ وازِعٍ ... يَحْذَرْنَ رِقْبَتَه ولا مِنْ واقِى[9]
يَفْعَلْنَ أفْعالَ الرِّجالِ لواهِيًا ... عَنْ واجباتِ نَواعِسِ الأحْداقِ[10]
فى دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثيرةٌ ... كشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ والمِزْراقِ[11]

---

(١) مج اللعاب من فمه: رمى به. واللعاب: الريق، شبه المداد به. وينفثه: يخرجه. (٢) النصّع: الشديد البياض. ويريد بقوله: «علوية الإشراق» : أن نورها من السماء. (٣) يريد بهذا البيت والذى قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جلية فيزوّرها بقلمه على القراء ويحوطها بالأكاذيب وأخيلة الشر حتى يردها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق. (٤) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب. (٥) الأعراق. الأصول، الواحد عرق (٦) الحيا: المطر. (٧) «شغلت» الخ، أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا. (٨) السوافر : المنكشفات الوجوه. (٩) يدرجن : يمشين. والوازع: الزاجر. والرقبة المراقبة.. (١٠) نواعس الأحداق: فاترات الأجفان، يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن. (١١) المزراق: الرمح؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب.

كَـلاَّ ولا أَدْعُـوكُمُ أنْ تُسْـرِفُـوا ... فى الحَجْبِ والتُّضْيِيقِ والإرْهاقِ[1]

لَيْسَتْ نِساؤُكُمُ حلًى وجَواهِرًا ... خَوْفَ الضَّياعِ تُصانُ فى الأَحقاق

لَيْـسَتْ نِسـاؤكُمُ أثاثًا يُقْـتَنَى ... فى الدُّورِ بَيْنَ مَخادِعٍ وطِباقِ[2]

تَتَـشَكَّلُ الأَزْمـانُ فى أَدْوارِها ... دُوَلاً وهُنَّ على الجُمودِ بَواقى[3]

فتَوَسَّطُوا فى الحالَتَيْنِ وأَنصِفُوا ... فالشَّرُّ فى التَّقييدِ والإطْلاقِ[4]

رَبُّوا البَناتِ على الفَضيلةِ إنّها ... فى المَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خيرُ وَثاقِ[5]

وعليكم أنْ تَسْـتَـبِـينَ بَناتُكُمْ ... نُورَ الهُدَى وعَلَى الحَياءِ البَاقى

---

(١) الإرهاق: الظلم. (٢) المخادع : الغرف، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمها، مع فتح الدال وسكون ما بينهما). (٣) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة. (٤) يريد «بالحالتين»: التضييق على النساء والتوسيع عليهن. (٥) يريد «بالموقفين» : تقييد النساء فى خدو رهن واطلاق السراح لهن. والوثاق: القيد الذى يوثق به من حبل أو نحوه .

٤٢ـ طول الليل

يا ساهدَ النَّجْمِ هَلْ للصُّبْحِ مِنْ خَبَرِ   إنِّى أَرَاكَ على شَىْءٍ مِن الضَّجَرِ[١]

أَظُنُّ لَيْلَكَ مُـذْ طال المُقـامُ به   كالقَوْمِ فى مِصْرَ، لا يَنْوِى على سَفَرِ[٢]

وقـال فى هذا المعنى أيضـا[٣]:

أقَـضِّـيـه فى الأشْـواقِ إلاَّ أقَلَّهُ   بَطِئَ سُرَى أَبْدَى إلى اللُّبْثِ مَيْلَهُ[٤]

وليسَ اشتِيـاقى عَنْ غَرَامٍ بشادِنٍ   ولكنَّه شَوْقُ امرِئٍ فـاتَ أَهْلَهُ[٥]

فـيـالَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعَـرْتُ نُجـومَـه   تَوَقُّدَ أنفـاسِى وعـانَيْتُ مِـثْلَهُ[٦]

ومَلَّ كِـلانَا مِنْ أَخِـيـه وهكذا   إذا طال عَـهْـدُ المَرْءِ بالشَّئِ مَلَّهُ

---

(١) السـاهد : السـاهر . (٧) يريد «بالقـوم» الإنجليـز. ولا ينوى، إى الليل. شبـه الليل بجـيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء. (٣) أشير فى الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم نقف نحن أيضا على بقيتها. (٤) أقضيه أى أقضى الليل. واللبث: المكث. (٥) الشادن: ولد الظبية. والمراد هنا: المليح. (٦) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه، وفى قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد.

٤٣ـ الشعر

ضِعْتَ بينَ النُّهَى وبينَ الخَيال — يا حَكيمَ النُّفُوسِ يابنَ المَعالي(١)

ضِعْتَ في الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودٍ — لَمْ يُفِيقُوا وأمَّةٍ مِكْسالِ(٢)

قد أذَالُوكَ بَيْنَ أنْسٍ وكأْسٍ — وغَرامٍ بظَبْيَةٍ أو غَزالِ(٣)

ونَسِيبٍ ومِدْحَةٍ وهِجاءٍ — ورِثاءٍ وفِتْنَةٍ وضَلالِ(٤)

وحَماسٍ أراهُ في غَيْرِ شَيْءٍ — وصَغارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اخْتيالِ(٥)

عِشْتَ ما بَيْنَهُمْ مُذالاً مُضاعًا — وكذا كنتَ في العُصورِ الخَوالي(٦)

حَمَّلوكَ العَناءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) — و (سُلَيْمَى) ووَقْفَةِ الأطْلالِ(٧)

وبُكاءٍ على عَزيزٍ تَولَّى — ورُسُومٍ راحَتْ بهِنَّ اللَّيالي(٨)

وإذا ما سَمَوْا بقَدْرِكَ يَوْمًا — أسْكَنُوكَ الرِّحَالَ فَوْقَ الجِمالِ(٩)

---

(١) النهى العقول، الواحدة : نهية. (٢) الهجود: النيام. (٣) اذالوك: أهانوك واصغروا شأنك. (٤) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. (٥) الصغار: الذل. ومعنى قوله «وصغار» الخ أي أنهم تياهون وهم أذلاء. (٦) المذال : المهان. (٧) ليلى وسليمى: من الأسماء التي رددها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسيبا وتشبيبا والأطلال: ما بقي من آثار الديار، الواحد طلل (بالتحريك) . وللشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم وحبهم وحسرتهم على أيام خلت. (٨) الرسوم : آثار الديار . (٩) «أسكنوك الرحال» الخ، أي وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم. ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب في الشعر من ذكر العيس، ومناداة الاطلال؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا، فلقد كانوا يصدرون في ذلك عما يحيط بهم؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا.

آنَ يا شِعْرُ أنْ نَفُكَّ قُيُودًا قَيَّدَتْنا بِها دُعاةُ المُحالِ

فارفَعوا هذه الكَمائمِ عَنّا ودَعُونا نَشُمُّ رِيحَ الشَّمالِ

٤٤ـ خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان وتقلص فيه الفيضان:

أنكرَ النيلُ موقفَ الخـــزانِ	فـانثنى قـافلاً إلى الســودانِ(١)
راعَـه أن يرى على جـانبيْـه	رَصَــداً مِنْ مَكايدِ الإنســـانِ(٢)

(١) القافل: الراجع. (٢) الرصد: الحافظ والحارس.

٤٥. معونة الدمع

يا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْـ ـفًا منكَ بالباكي الحَزِينْ

بارِكْ لِعَيْنَيكَ في الدُّمو عِ فإنّها نِعْمَ المُعِينْ

٤٦ـ الخمـر

[نشرت فى سنة ١٩٠٠م]

هذا الظلامُ أثارَ كـــامنَ دائى ... يا سـاقِيَىَّ عَلَىَّ بالصَّـهْبـاءِ[١]

بالكاسِ أو بالطّاسِ أو باثْنَيْـهِـمـا ... أو بالدِّنانِ فـإنّ فـيـه شِـفـائى[٢]

مَشْمُولَة لولا التُّقَى لعَجِبتُ مِنْ ... تَحْـرِيمِـهـا والذّنْبُ للقُـدَمـاءِ[٣]

قَرِبُوا الصَّلاةَ وهُمْ سكارَى بَعْدَما ... نَزَلَ الكِتـابُ بحِكْمـةٍ وجَـلاءِ

يا زَوْجـةَ ابنِ المُزْنِ يا أُخْتَ الهَنا ... يا ضَـرَّةَ الأَحْزانِ فى الأَحْشـاءِ[٤]

يا طِبَّ (جـالِينُوس) فى أنْواعِـه ... مـالِى أراكِ كـثـيـرةَ الأعْـداءِ[٥]

---

(١) الصبهاء : الخمر، سميت بذلك لصهبتها، أى حمرتها. (٢) الطاس : إناء معروف. وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان، ولو راعى اللفظ لأنثه، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح)، وهو الجرة العظيمة. وفيه، أى فى الشراب. (٣) المشمولة: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها؛ أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال. وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، فقال : (ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى. (٤) المزن (بالضم) : السحب. وابن المزن: الماء الذى ينزل منه، وجعل الخمر زوجة ابن المزن، لأنها تمزج به. والضرة: الزوج الثانية. وجعلها ضرة الأحزان، لأنها لا تجتمع معها فى قلب. (٥) كلوديوس جالينوس: طبيب وفيلسوف يونانى مشـهور، ولد نحو سنة ١٣٠م، وتوفى نحو سنة ٢٠٠م. وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية، فلكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه.

قائمة المحتويات



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٦٠٦/ ٢٠٠٤

I.S.B.N.97 - 01 - 9169 - 8

مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاءت بنور المعرفة جن
من ٨٠مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومن
عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زاده
العشره الماضية لتلهب فى تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وك
المعرفة هى سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفو
والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلو
كل وسائل الإتصال ولم يكن منطقيا أن نقف مكتوفى الأيدى. . فكانت مكتبة الأس
أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد، عصر المعرفة وإننا لنتطلع فى الأعوام ا
الأسرة ثمارها اليانعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر ل
يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لنكون امتدادا حضاريا معاصرا للحض
التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.



سوزان مبارك



السعر ١٥٠ قرشاً